أشهر القصص اللصوصية

أرسين لوبين

2



الجائزة الكبرى

موريس لبلان

مكتبة معروف

YOUSRA

أشهر القصص اللصوصية

أرسين لوبين

الجائزة الكبرى

ترجمة

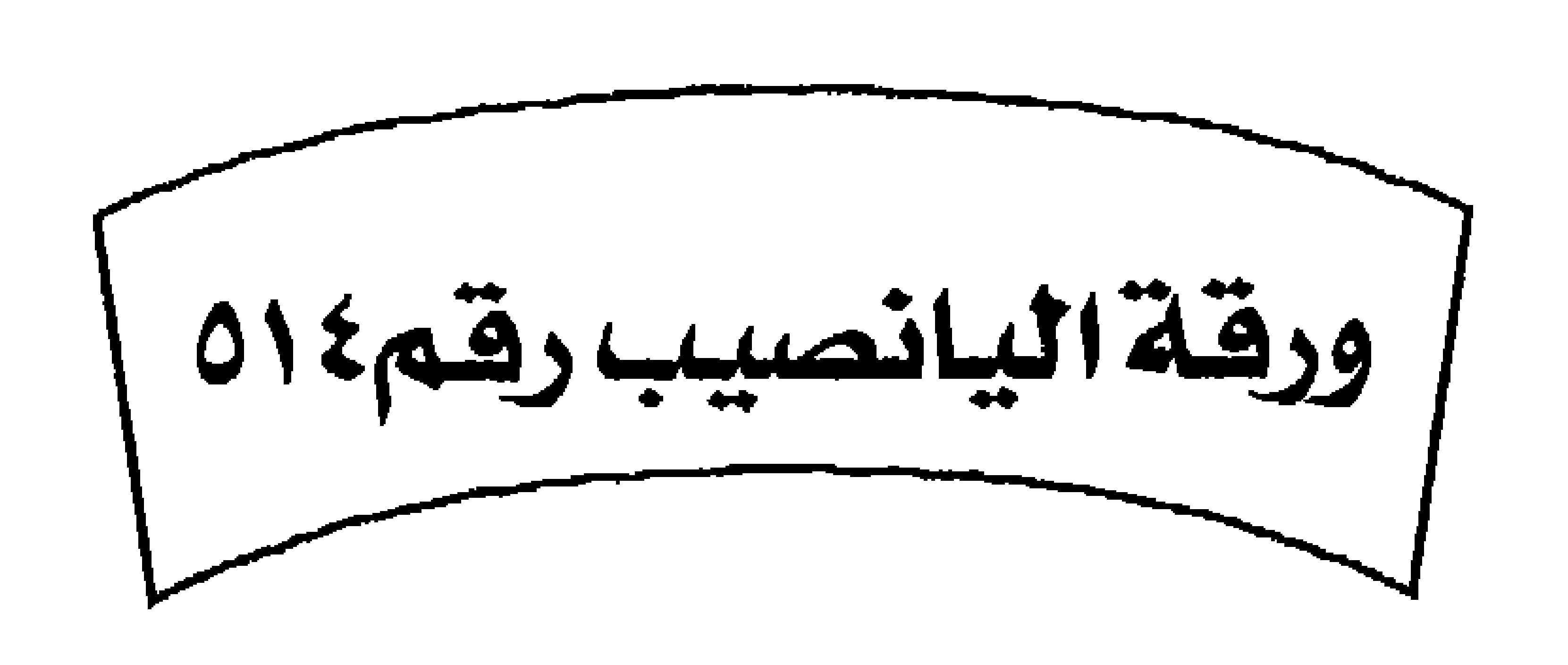
محمد عبد المنعم جلال



مكتبة معروف

مكتبة معروف

الإسكندرية - ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦٤١٠ فاكس - ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة - ٠٢٢ ٤٠٣٧٧٩٢
E- mail : maarouf 2004 @ hotmail . com
ص . ب ٣٧٠ الإسكندرية



في يوم ٨ ديسمبر من العام الماضى رأى مسيو جرابو استاذ الرياضيات بجامعة فرساى فى أحد محال بيع الأشياء القديمة مكتبا صغيراً من خشب الأكاجو ، راقة لكثرة ادراجه وقال يحدث نفسه .

- هذه خير هدية لسوزان بمناسبة عيد ميلادها .

ونظراً إلى موارده المتواضعة ، ولأنه كان يريد أن يسعد ابنته فقد ظل يساوم البائع حتى خفض له الثمن إلى ٦٥ فرنكا .

وبينما كان يملى عنوانه للبائع تقدم منهما شاب أنيق المظهر كان ينقب فى المحل ذات اليمين وذات الشمال ، فرأى المكتب وسأل البائع :

- بكم هذا المكتب .. فأجابه البائع :

- انه مباع .

- آه .. لعل السيد هو الذى اشتراه ؟

حياه مسيو جربوا وقد سره حصوله على المكتب الذى يطمع فيه أحد مواطنيه ، ولكنه لم يكد يسير فى الشارع بضع خطوات حتى لحق به الشاب وقال له وهو يرفع قبعته .

- معذرة يا سيدى .. ولكن إسمح لى أن أتطفل وأسألك إن كنت

قد بحثت عن هذا المكتب بالذات ؟

- أبداً .. كنت أنشد ميزاناً صغيرا لاستخدامه فى بعض تجاربى .

- اذن فأنت لاتتمسك بهذا المكتب ؟!

- بل أتمسك به .

- لأنه قديم ؟

- بل لأنه مريح ومفيد .

- اذن فقد تقبل أن تستبدله بمكتب أخر أكثر نفعا وبحالة جيدة ؟

- هذا المكتب فى حالة جيدة ، ولا أرى داعيا لاستبداله .

- ومع ذلك .

ولما كان مسيو جريبوا رجل سريع الانفعال والغضب فقد قال فى حدة :

- أرجو أن تكف عن الإلحاح أيها السيد .

ولكن الشاب لم يتزحزح عن مكانه وقال : لا أعرف كم دفعت فيه يا سيدى ، وأننى أعرض عليك ضعف ما دفعت .

كلا .

- ثلاثة أضعاف .

صاح الأستاذ وقد نفذ صبره :

- اوه .. كفى يا سيدى .. أننى لا أبيع ممتلكاتى .

نظر الشاب اليه نظره طويلة.. نظره لايمكن أن ينساها مسيو جربوا ، ثم دار على عقبيه وانصرف دون أن ينبس بكلمة .

●●●

أرسل البائع المكتب بعد ساعة إلى البيت الذى يقيم فيه مسيو جربوا بشارع فيرفلاى ونادى الأستاذ ابنته وقال لها :

ـ هذا المكتب لك يا سوزان .. هذا إذا راق لك .

وكانت سوزان مخلوقة جميلة .. صريحة وسعيدة فألقت بنفسها على عنق ابيها وعانقته فى مرح كما لو أنه قدم لها هدية ملكية .. نقلته إلى غرفتها فى نفس الليلة .. بمساعدة خادمتها هورتنس ونظفت أدراجه ورتبت فيه أوراقها ومراسلاتها ومجموعاتها من البطاقات البريدية ، وبعض الذكريات السرية التى تجمع بينها وبين ابن عمها فيليب .

وفى منتصف الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى ، مضى مسيو جربوا إلى الجامعة ، وفى الساعة العاشرة وجد سوزان تنتظره على الرصيف المقابل كعادتها وكان يسره دائما أن يراها بوجهها الصبوح وابتسامتها الصبيانية .

وسألها وهما يعودان معا ومكتبك .

ـ انه جميل جدا وقد نظفته أنا وهورتنس ، ولمعنا النحاس حتى بدا كأنه من الذهب .

ـ أنت مسرورة إذن ؟

صاحت :

ـ جدا ، بحيث لا أدرى كيف أمكننى الإستغناء عنه حتى اليوم .

وعبرا الحديقة المؤدية إلى البيت وقال مسيو جربوا :

ـ هل يمكن أن نمضى لرؤيته قبل أن نتناول الغداء ؟

ـ أوه .. أجل .. هذه فكرة جميلة .

وأسرعت بالصعود ولكنها ما كادت تبلغ عتبة غرفتها حتى أطلقت

صيحة ذعر فتمتم مسيو جربوا :

- ما الخبر ؟

ودخل الغرفة بدوره .. كان المكتب قد اختفى .

●●●

كان الشىء الذى أدهش قاضى التحقيق هو البساطة الفائقة للطريقة التى استخدمت ، فأثناء غياب سوزان ، وبينما كانت الخادمة تتسوق أوقف احد الحمالين عربته الصغيرة أمام الحديقة ودق الجرس مرتين ولما كان الجيران لايعرفون ان سوزان فى الخارج فلم يداخلهم أى شك بحيث ان الرجل قام بعمله بكل اطمئنان .

ولوحظ أنه لم يغتصب أى دولاب أو يمس أى شىء بالبيت بل الأكثر من ذلك ان سوزان كانت قد تركت كيس نقودها فوق سطح المكتب فوجدته فوق المنضدة المجاورة بما فيه من نقود ذهبية .. كانت سرقة المكتب متعمدة إذن مما جعل الامر يبدو مستغلقا إذ لماذا المجازفة من أجل غنيمة طفيفة كهذه .

كان الدليل الوحيد الذى استطاع الأستاذ أن يقدمه هو حادث الأمس فقال :

- لقد بدا على ذلك الشاب الاستياء الشديد ازاء رفضى وأحسست بكل وضوح ان نظرته لى كانت تنطوى على التهديد والوعيد .

ولكن ذلك الدليل كان غامضا وتم استجواب البائع فقال انه لا يعرف أىّ من هذين السيدين أما المكتب فقد اشتراه بأربعين فرنكا من مزاد بعد وفاة صاحبه ولم يسفر التحقيق عن شىء أكثر من ذلك .

ولكن مسيو جربوا اعتقد بأنه منى بخسارة فادحة إذ لاريب أن

ثروة كبيرة كانت مخفاة فى درج سرى بالمكتب كان الشاب يعرف بأمره وتصرف بكل دقة للاستيلاء عليها .

وقالت سوزان :

ـ وماذا كنا نفعل بتلك الثروة يا أبى العزيز ؟

ـ ماذا تقولين ؟ كان يمكن أن يتيح لك مهر هكذا أحسن زيجة .

كانت كل أطماع سوزان لاتتجاوز ابن عمها فيليب ، وهو شاب لا يتمتع بأيه ثروة فتنهدت في مرارة واستمرت الحياة فى البيت الصغير فى فرساى أقل مرحاً وأكثر هما تظلها التحسرات والآمال الضائعة .

•••

ومر شهران وفجأة تتابعت الأحداث .. بصورة غير متوقعة .. صدف سعيدة ومصائب .

ففى منتصف الساعة السادسة من أول فبراير أقبل مسيو جربوا وفى يده جريدة المساء ، وجلس ووضع نظارته وراح يقرأ . ولم يكن يهتم بأنباء السياسة فقلب الصفحة ولفت نظره مقال بعنوان :

السحب الثالث ليانصيب اتحاد الصحافة

الورقة رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣ فازت بمليون فرنك

أفلتت الجريدة من بين أصابعه ، وأهتزت الجدران أمام عينيه ، وتوقف قلبه عن نبضاته ، فإن ورقة اليانصيب رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣ ملكه اشتراها من صديق صدفه واتفاقا لكى يجامله لأنه لم يكن يؤمن بالحظ أبدا ولكن ها هو الآن وقد ربح .

وأسرع فأخرج مفكرته.. ربحت الورقة رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣

حقا ولكن الورقة .

وهرع إلى مكتبه ليبحث فى صندوق الرسائل الذى ضم اليه الورقة الثمينة ، وما كاد يدخل حتى ترنح وتسارعت دقات قلبه لأنه لم ير الصندوق مكانه ، والشىء المخيف هو أنه تذكر ان ذلك الصندوق لم يكن مكانه منذ أسابيع وصاح :

ـ سوزان .. سوزان ! وأقبلت بسرعة فسألها بصوت مكتوم : سوزان .. الصندوق.. صندوق الخطابات .. ذلك الذى كان فوق هذا الخوان .

ـ ولكن هل نسيت يا أبى .. اننا وضعناه معا في المكتب .

ـ أى مكتب ؟

ـ المكتب الذى سرق .

ارتسم الذعر على وجهه ، وأمسك بيد سوزان وقال :

ـ انه كان يحتوى على مليون فرنك ياابنتى .

فتمتمت فى سذاجة :

ـ ولماذا لم تقل لى ذلك يا أبت ؟

عاد يقول :

ـ مليون ! جائزة ورقة يا نصيب اتحاد الصحافة.. حطمتهما فداحة الكارثة ، ولزما الصمت مدة طويلة ، لايجدان الشجاعة لقطع حبله . وأخيرا قالت سوزان : ولكنهم سيسلمونك ذلك المبلغ مع ذلك .

ـ ولماذا ؟ وبأى دليل ؟

ـ وهل لابد من دليل .

ـ طبعا ، وقد كان الدليل فى الصندوق .

ـ الصندوق الذى اختفى ؟

ـ أجل .. والآخر هو الذى سيقبض الجائزة .

ـ ولكن هذا فظيع .. يمكنك أن تعترض يا أبى .

ـ وكيف أستطيع ؟ أن ذلك الرجل قوى جدا، وواسع الحيلة .. تذكري سرقة المكتب .

ونهض في دفعة من النشاط وضرب الأرض بقدمه وصاح :

ـ ولكن لا .. وألف لا .. لن يظفر بذلك المليون .. ولماذا يظفر به ؟

فمهما كان واسع الحيلة والذكاء فهو الآخر لايستطيع شيئا، لأنه إذا تقدم لاستلام الجائزة سوف يقبضون عليه، أوه سنري يا صديقي سنري .

ـ هل تفكر في شيء يا أبي ؟

ـ نعم .. وهو الدفاع عن حقوقنا حتى النهاية مهما حدث ، وسنفلح .. ان المليون من نصيبى أنا وسوف أظفر به .

وبعد بضع لحظات أرسل البرقية التالية :

مدير بنك الكريدى فونسييه بشارع كابوسينى بباريس

" أنا صاحب ورقة اليانصيب رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣

وأعترض بكل الطرق القانونية على أية مطالبة أخرى

جربوا

وفى نفس الوقت تقريبا ، تسلم مدير البنك البرقية التالية :

" ورقة اليانصيب رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣ معى

أرسين لوبين "

●●●

فى كل مرة أبدأ فيها بسرد إحدى وقائع أرسين لوبين العديدة ، أشعر بارتباك شديد لأنه يخيل لى أن أتفه هذه المغامرات معروفة من القراء فليس هناك حركة من حركاته إلا وقد تركت صداها واحدثت دويا وراح الجمهور يدرسها من كل نواحيها ، وليس هناك من عمل من أعماله إلا وقد علق عليها الجميع كما لو أنه عمل من أعمال المقاومة البطولية .

فمن منا لايعرف حقا مغامرة الغادة الشقراء بأحداثها القريبة التى نشرها الصحفيون بالأحرف الكبيرة وورقة اليانصيب رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣ وجريمة شارع هنرى مارتن.. والماسة الزرقاء ، والضجة الشديدة التى أثارها تدخل البوليس السرى الانجليزى الشهير شرلوك هولمز والنضال العجيب الذى دار بين هذين الرجلين الغريبين ، ثم الضجة التى أحدثها صياح بائعة الجرائد وهم يقولون القبض على أرسين لوبين .

ولكن عذرى هو أننى أروى الجديد، وأذكر حل اللغز فان الغموض يحيط دائما بتلك المغامرات وبروايتى لها ينقشع ذلك الغموض ويعرف القراء ما خفى عليهم ، فإننى أسوق ماحدث وما تلا تلك الأحداث وأرتبها حسب وقوعها، ثم أذكر الحقيقة الكاملة ، ويعاوننى فى ذلك أرسين لوبين لوبين نفسه فثقته بى كبيرة ومجاملته لى لاحدود لها، كما أحظى بمعاونه صديقى واطسون ، مساعد شرلوك هولمز وموضع ثقته .

لاريب ان القراء يذكرون موجة الضحك والسخرية التى أعقبت البرقية المزدوجة.. كان اسم أرسين لوبين وحده أكبر دليل على توقعهم لأمور غريبة سوف تدهش العالم أجمع .

قام بنك الكريدى فرنسييه بتحرياته على الفور، وثبت أن الرقم

٥١٤ من المجوعة ٢٣ قد باعها فرع البنك بفرساى إلى قومندان المدفعية بيسى وان القومندان مات عقب وقوعه من فوق جواده ، واعترف بعض أصدقائه بأنه قال لهم قبل موته انه باع تذكرته إلى صديق له وقال مسيو جربوا :

- أنا ذلك الصديق .

واعترض مدير الكريدى فونسييه قائلاً :

- أثبت ذلك .

- اثبته ؟ بكل سهولة سيقول لك عشرون شخصا انني كنت على علاقة وثيقة مع القومندان ، وأننا كنا نلتقى كل مساء فى مقهى "ميدان السلاح " وأننى لكى أعاونه فى ظروفه الصعبة أخذت تذكرته مقابل عشرين فرنكا .

- ألديك شهود على ذلك ؟

- كلا .

- إذن علام تستند فى توكيدك هذا ؟

- على الخطاب الذى أرسله إلى فى هذا الصدد .

- وأين هو ؟

- ولكنه مرفق بالتذكرة وموجود فى المكتب المسروق .

- ونشر أرسين لوبين الخطاب المذكور فى جريدة ايكودى فرانس التى يبدو انها لسان حاله والتى لاريب انه واحد من أهم المساهمين فيها فقد جاء بها نبأ يقول ان ارسين لوبين سيودع بين يدى محاميه ومستشاره الاستاذ دتنيان الخطاب الذى أرسله إليه القومندان شخصيا .

أثار هذا النبأ موجة من الضحك.. أرسين لوبين يتخذ له محاميا ..

ارسين لوبين الخارج على القانون يحترم القانون ويوكل عنه أحد رجال القانون .

وأسرع رجال الصحافة إلى الاستاذ دتنيان ، وهو نائب راديكالي واسع النفوذ، وعلى قدر كبير من الذكاء وإن كان متشددا بعض الشيء .

قال انه لم يتشرف بمعرفة أرسين لوبين وان ذلك من دواعى أسفه الشديد وأنه تلقى تعليماته وأحس بزهو كبير لاختيار أرسين لوبين له .. وصمم على أن يدافع عن حقوقه بكل شدة ، وفتح الملف الجديد الذى أمامه وعرض عليهم خطاب القومندان ، كان يؤكد فيه أنه باع التذكرة حقا ، ولكنه لم يذكر أسم المشترى وانما قال صديقى العزيز فحسب .

وأردف أرسين لوبين فى مذكرة ضمها إلى الخطاب :

- وهذا الصديق هو أنا، وأكبر دليل على ذلك هو أن الخطاب معى .

وانتقل الصحفيون إلى بيت مسيو جربوا ، ولم يسع هذا الاخير إلا أن يقول :

- هذا الصديق العزيز ليس بأحد غيرى لقد سرق أرسين لوبين خطاب القومندان مع ورقة اليانصيب .

وقال لوبين للصحفيين :

- فليثبت ذلك .

صاح مسيو جربوا أمام نفس الصحفيين :

- ولكن ما دام هو الذى سرق المكتب .

عاد لوبين يقول :

- فليثبت ذلك .

وكان نضالا عجيباً الذى دار علنا بين حائزى ورقة اليانصيب ، وانتقال الصحفيين بينهما وجرأة أرسين لوبين أمام هلع مسيو جربوا المسكين .

كانت الصحف تزخر بهموم المسكين ، وكان يتكلم عن خطه العاثر بسذاجة مؤثرة .

ـ افهموا أيها السادة .. انه مهر ابنتى سوزان الذى سرقه هذا الوغد ان ضياعه لايهمنى أنا بالذات ، ولكن بالنسبة لسوزان .. انه مليون فرانك .. كنت متأكدا تماما ان المكتب يضم ثروة .

ولما قيل له ان غريمه لم يكن يعلم بوجود ورقة اليانصيب عندما سرق المكتب وأن ما من أحد كان يتوقع أن تربح تلك الورقة الجائزة الكبرى تأوه وقال :

ـ بل كان يعرف .. وإلا ما جشم نفسه هذا العناء واستولى على ذلك المكتب الحقير .

ـ انه أخذه لأسباب غير معروفه، وليس للحصول على ورقة لم تكن تساوى عندئذ إلا مبلغاً بسيطا وهو عشرون فرنكا .

ـ بل تساوى مليونا .. كان يعرف ذلك انه يعرف كل شىء .. أه أنتم لاتعرفون هذا الشقى .. انه لم يسلبكم أنتم مليونا .

●●●

وكان يمكن لهذا المونولوج ان يستمر وقتا أطول ، ولكن مسيو جربوا تلقى فى اليوم الثانى عشر رسالة خاصة من أرسين لوبين قرأها فى جزع زائد :

سيدى :

ـ ان الناس تتسلى على حسابنا، أفلا ترى معى أن الوقت حان

لوضع حد لهذا النزاع .. من جهتى انا لامانع عندى على الاطلاق .

" إن الموقف واضح انا أملك التذكرة التى لاحق لى فيها، وأنت لك الحق فى تذكرة لاتملكها، ولهذا لا يمكن لأى منا أن يفعل شيئا من دون الأخر .

وأنت لن تتنازل عن حقك ، ولن أتنازل انا عن تذكرتى كذلك فما العمل ؟

لا أرى غير وسيلة واحدة وهى أن نتقاسم نصف مليون لك ونصف مليون لى ، أليس هذا عدلا .

هذا حل عادل .. ولكنه حل عاجل لاسبيل أمامك لرفضه فان الضرورة تحتم عليك قبوله.. وأننى أمهلك ثلاثة أيام للتفكير والتروى ، وأحب أن أقرأ فى صباح الجمعة فى جريدة ايكودى فرانس رسالة حذرة موجهة إلى أر.. لوبين تعلن فيها بكلمات مستترة قبولك اقتراحي هذا دون قيد أو شرط ، وبهذا تسترد تذكرتك على الفور وتحصل على المليون فرنك على أن ترسل إلى الخمسمائة ألف فرنك بالطريقة التى سأوضحها لك فيما بعد أما إذا رفضت فقد اتخذت تدابيرى لكي تكون النتيجة واحدة ، ولكن فضلاً عن متاعبك الشديدة التى ستواجهها عندئذ والتى سيتسبب فيها عنادك وإصرارك فسوف يخصم من نصيبك خمسة وعشرون ألف فرنك نظير نفقات إضافيه .

وتفضل سيدى ، بقبول أصدق تحياتى

أرسين لوبين "

•••

ارتكب مسيو جربوا فى سورة غضبه حماقة كبيرة بأن أعلن عن هذا الخطاب ونشر صورة منه ، دفعه سخطة إلى كل الحماقات صاح

أمام الصحفيين :لا شيء .. لاشيء .. اقتسم معه ما يخصنى ؟ قال :

- فليمزق التذكرة إذا شاء .

وقيـل له :

ومع ذلك فان خمسائة ألف فرنك خير من لاشيء .

- ولكـن المليـون كله مـن حقـى، وسأثبـت هذا الحق أمام المحاكم .

- أتقاضى أرسين لوبين ؟ إن ذلك ليكون أمراً غريبا .

- كـلا، بل ســأقاضــى الكريدى فرنسييه يجـب أن يسلمنى المليون .

- نظير تقديمك التذكرة ، أو ما يثبت انك اشتريها على الأقل .

- ان الدليل موجود ما دام ارسين لوبين يعترف بأنه سرق المكتب .

- وهل تكتفي المحاكم بكلمة أرسين لوبين ؟

- لايهمني هذا .. سأرفع الأمر إلي القضاء .

وهاج الجمهور، وعقدت المراهنات .. البعض يؤكد ان ارسين لوبين سيرغم مسيو جربوا ، والبعض الأخر بأنه لن يستطيع تنفيذ تهديده وخامر الجميع احساس بالخوف لان القوتين كانتا غير متعادلتين ، فاحدهما شديد الصراحة في هجومه والاخر شديد الخوف كطريدة مذعورة .

وتخاطف الناس جريدة ايكودي فرانس صباح يوم الجمعة ، ولم يجدوا شيئا في الصفحة الخامسة المخصصة للاعلانات .. ولا سطر واحد موجه الي أر . لوب . رد مسيو جربوا بالصمت .

وكان ذلك بمثابة إعلان الحرب .

وفى نفس المساء علموا من الجرائد بنبأ اختطاف الأنسة جربوا .

•••

والممتع فيما يمكن أن ندعوه مغامرات أرسين لوبين هو الدور المضحك إلي حد الجنون الذي يقوم به البوليس ، فكل شيء يحدث خارج نطاقه ، فأرسين لوبين يكتب وينذر ويأمر ويهدد وينفذ كما لو أن مدير البوليس أو المفتشين أو رجال الشرطة لاوجود لهم وأخيرا لا أحد يعوقه في أغراضه .

ومع ذلك فان رجال البوليس يكدون ويبذلون قصاري جهدهم .. فما أن يتعلق الأمر بأرسين لوبين حتي تمتلكهم الحمي ويستشيطون غضبا فهو العدو الذي يهزأ بهم ويسخر منهم ويتحداهم ويزدريهم ، والأسوأ من كل ذلك يتجاهلهم .

وماذا يفعلون مع مثل هذا العدو ، فقبيل الساعة العاشرة بعشرين دقيقة خرجت سوزان من البيت ، وقد شهدت الخادمة بذلك .. وعندما خرج أبوها من الجامعة في العاشرة وخمس دقائق لم يرها علي الرصيف المقابل حيث اعتادت أن تنتظره كل شيء اذن لقد حدث الاختطاف في فترة العشرين دقيقة التي قضتها سوازن في السير من البيت إلي الجامعة .

اكد اثنان من الجيران أنهما التقيا بها على بعد ثلاثمائه خطوة من البيت وقالت سيدة انها رأت فتاة تطابق أوصافها في عرض الطريق ولم يعرف أحد شيئا بعد ذلك .

وامتد التحقيق إلي كل مكان واستجوبوا موظفى المحطات ومراكز رسم المرور.. لم ير أحد منهم فى ذلك اليوم شيئا يمكن أن يكون له علاقة باختطاف الفتاه ، ومع ذلك فقد صرح أحد البدالين بقرية فيل دافرى انه باع بنزينا لسيارة مقفلة قادمة من باريس يقودها سائق وبداخلها سيدة شقراء ، وبعد ساعة من ذلك عادت السيارة من فرساى وتوقفت لحظة بسبب الزحام ، الأمر الذى أتاح له أن يرى

بجوار المرأة الشقراء التي سبق أن رآها سيدة أخرى تضع حول رأسها شالا وعلى وجهها قناعا ، ولم يكن هناك أى ريب أنها هى سوزان جربوا .. ولكن ان دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن الاختطاف وقع فى وضح النهار ، وفى طريق شديد الازدحام وفى وسط المدينة بالذات .

- كيف ؟ وفى أى مكان ؟ كيف لم يسمع أحد أيه صرخة ولم ير أحد ما يريب ؟

وأعطى البدال أوصاف السيارة ، ليموزين ٢٤حصان موديل بوجون ذات لون أزرق داكن ، ودلت التحريات على أن صاحبة أحد الجاراچات أجرت فى ذلك اليوم سيارة ليموزين من طراز بوجون إلى سيدة شقراء ، وأنها لم ترها بعد ذلك .

- السائق ؟

- رجل اسمه ارنست التحق بالعمل أمس بعد أن قدم شهادات طبية .

- أهو هنا ؟

- كلا .. انه أعاد السيارة ولم يعد بعد ذلك .

- هل يمكن الإهتداء إلى اثره ؟

- طبعا بالرجوع إلى الاشخاص الذين زودوه بتلك الشهادات ومضوا إلى أولئك الأشخاص ، ولكن لم يعرف أحد منهم المدعو ارنست .

ولم يكن مسيو جربوا من القوة بحيث يصمد فى معركة بدأت بهذه الطريقة المفجعة ، فقد هده الحزن منذ اختفاء ابنته وعذبه الندم ولم يجد بدا من الخضوع .

وظهر اعلان صغير بجريدة ايكودى فرانس علق عليه الجميع ، وأكد استسلامه بدون قيد أو شرط .

وهكذا انتصر أرسين لوبين وانتهت المعركة بعد أربعة أيام .

•••

وبعد يومين تقدم مسيو جربوا إلى مدير بنك الكريدى فرنسيه واعطاه ورقه اليانصيب رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣ فدهش المدير وقال :

- أه .. أهى معك ؟ هل أعيدت اليك ؟

أجابه مسيو جربوا :

- كانت ضائعة وقد وجدتها .

- ولكنك زعمت .. قلت ان ..

- كل ذلك لم يكن إلا أكاذيب .

- ومع ذلك فلابد لنا من مستند يدعم صحة ادعائك .

- هل يكفى خطاب القومندان ؟

- بكل تأكيد .

- ها هو .

- حسنا .

- ضعهما اذن فى قسم الأمانات ، فلابد لنا من اسبوعين للتحقق سأخطرك متى يجب أن تتقدم إلى الخزينة ، وأرى من مصلحتك أن ألا تقول شيئا وان تنتهى هذه المسألة في صمت مطبق .

- هذه نيتى .

لم يتكلم جربوا، وكذلك لم يتكلم مدير البنك، ولكن هناك أسرار

تنكشف دون أن يقع أى فضول وعلم الناس بعد ذلك فجأة أن أرسين لوبين تجرأ وأرسل التذكرة رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣ إلى مسيو جربوا وقوبل النبأ بإعجاب مذهل فقد دل ذلك على أن أرسين لوبين مقامر جرىء بتخليه عن تلك التذكرة النفيسة ، والواقع انه تخلى عنها وفى يده ورقه أخرى رابحة تجدد التوازن ، ولكن ماذالو هربت الفتاة ؟

أو أفلح البوليس في انقاذها ؟

أدرك البوليس نقطة الضعف فى العدو وضاعف جهوده ، فانه إذا عثر على الفتاة يجرد أرسين لوبين من سلاحه فلايستطيع أن يحصل على صلدى واحد من المليون فرنك .. وبذلك يصبح هدفاً لسخرية الجميع .

ولكن كان لابد من العثور على سوزان وهم لم يعثروا عليها وكذلك لم تهرب ..

وقيل :

ـ ليكن لقد ربح أرسين لوبين الجولة الأولى ولكن الجولة الثانية ستكون من أشق الأمور ان الآنسة جربوا بين يديه ، ونحن نعترف بذلك ولن يعيدها إلا مقابل الخمسمائه ألف فرنك ولكن أين ومتى ستتم عملية الاستبدال فلكى يتم هذا الاستبدال فلابد من اللقاء وعندئذ ما الذى يمنع مسيو جربوا من إبلاغ البوليس وبذلك يسترد ابنته ويحتفظ بالمليون كله .

وسألوا الأستاذ وكان مكدوراً جدا ، وعازفاً عن الكلام ، وقال :

ليس لدى ما أقول أننى أنتظر .

ـ والأنسة جربوا .

- ان الأبحاث مستمرة .

- ولكن ارسين لوبين كتب لك .

- كلا .

- هل تؤكد ذلك ؟

- كلا .

- إذن فقد كتب لك .. ما هى تعليماته ؟

- ليس لدى ما أقول .

وحاصروا الاستاذ دتنيان ، ولكنه تمسك بالصمت هو الأخر .

وقال وهو يتظاهر بالهدوء التام :

- أن مسيو لوبين موكلى ولعلكم تفهمون ان ذلك يقتضينى الكتمان .

كل هذا الغموض قد أهاج الجميع لم يكن هناك شك فى أن خططا تدور فى الخفاء وأن أرسين لوبين يخطط ويحكم خيوط شباكه من حين ان البوليس كان يقوم بمراقبة حركات مسيو جربوا ليلا ونهارا والناس ينتظرون النتائج الثلاثة المحتملة وهى إما القبض على ارسين لوبين وإما انتصاره وإما الهزيمة المنكرة والساخرة .

ولكن الحقيقة أن فضولهم لم يكن مرضيا إلا جزئيا ، وهنا وعلى هذه الصفحات ولأول مرة اكشف الحقيقة كلها حول هذه المسألة .

●●●

فى يوم الثلاثاء ١٢مارس تلقى مسيو جربوا من بنك الكريدى فرنسيه اخطارا عاديا فى مظهره ، وفى الساعة الواحدة من يوم الخميس استقل القطار الي باريس وفى الساعة الثانية تسلم ألف

ورقة من أوراق البنكنوت كل منها بألف فرنك .

وبينما كان يحصيها وهو يرتعش .. أفلم تكن هذه النقود فدية سوزان ؟ كان هناك رجلان يتبادلان الحديث في سيارة واقفة على مسافة من باب البنك كان لأحد هذين الرجلين شعر وخطه المشيب ووجه نشيط يتناقض مع ملابسه وهيئته التى تدل على انه من صغار الموظفين .. كان هو المفتش العام جانيمار، العدو اللدود لأرسين لوبين وكان يقول للرقيب فولنفان :

- لن يطول الأمر سيخرج رجلنا قبل خمس دقائق ، هل أعددت كل شىء ؟

- بالطبع .

- كم عددنا ؟

- ثمانية ، منهم اثنان على الدراجات .

- وأنا وحدى أعادل ثلاثة ، هذا يكفى ، ولكننا لسنا كثيرين لايجب أن يفلت منا جربوا بأى حال من الأحوال وإلا انتهى الأمر انه سيقابل لوبين في المكان الذى عينه له وسيعطيه النصف مليون مقابل ابنته وينتهى كل شىء .

- ولكن لماذا يتفق الرجل معنا ؟ ولو أنه فعل لأمكنه أن يحتفظ بالمليون كله بكل بساطة .

- ذلك لأنه يخشى إن هو خدع لوبين ن لايرى ابنته .

قال فولنفان :

انه لمن الغريب أن نضطر إلى حماية هذا الرجل من نفسه .

تنهد جانيمار وقال :

مع لوبين تنقلب كل الاوضاع .

وما كاد يفرغ من عبارته هذه حتى ظهر جربوا، وانعطف فى أخر شارع كابوسين إلى اليسار ، وكان يمشى على مهل ويتأمل واجهات المحلات وقال جانيمار :

- أن صاحبنا هادىء جدا ان رجلاً فى جيبه مليونا من الفرنكات .. لا يكون بمثل هذا الهدوء .

- وماذ يمكنه أن يفعل ؟

- لاشيء طبعا، ولست أعبأ بما قد يفعل، ولكن لوبين هو لوبين وفى هذه اللحظة مضى مسيو جريوا إلى أحد الاكشاك، وابتاع بعض الجرائد، واسترد الباقى ثم نشر إحداها وراح يقرأ وهو باسط ذراعية ويمشى على مهله ، وفجأة وثب إلى سيارة تنتظر بجوار الرصيف وكان المحرك دائرا فانطلقت مسرعة ، وسلكت شارع مادلين ثم اختفت وصاح جانيمار :

- يا للشيطان ! لعبة أخرى من ألاعيبه .

وانطلق، وأسرع رجال أخرون فى نفس الوقت نحو شارع مادلين ، ولكنه لم يلبث ان انفجر بالضحك فقد رأي السيارة واقفة فى أول شارع مالرب وقد أصابها عطل ، ومسيو جربوا يهبط منها .

- أسرع يا فولنفان ، عليك بالسائق فلعله المدعو أرنست .

واهتم فولنفان بالسائق كان يدعى جاستون ويعمل بإحدى شركات سيارات الأجرة، وقال ان رجلاً استوقفه قبل ذلك بعشر دقائق وأمره بالانتظار قسرا بجوار الكشك حتى يأتى رجل أخر .. وسأله فولنفان :

وما هو العنوان الذى ذكره لك الرجل الثانى ؟

- أمرنى بالانطلاق إلى شارع مالرب ثم شارع ميسين ، ووعدني

ببقشش كبير . وهذا كل شيء .

وفي أثناء ذلك وبدون إضاعة دقيقة أخرى كان مسيو جربوا قد وثب إلى أول سيارة مرت به وقال للسائق إلى محطة ترام الكونكورد .

وخرج الاستاذ من المترو فى ميدان باليه رويال وأسرع إلى سيارة أخرى وطلب من السائق أن يمضى به إلى ميدان البورصة ثم رحلة أخري إلى المترو فشارع دى فيليه ، وسيارة ثالثة ، وقال السائق :

- امض بى إلى رقم ٢٥ شارع كلابيرون .

ورقم ٢٥ بشارع كلابيرون يفصله عن شارع باتنيول البيت القائم فى ناصيته وصعد إلى الطابق الأول ودق الجرس وقال للرجل الذى فتح له :

أهنا يقطن الاستاذ دتنيان .

- أنا هو .. مسيو جربوا دون ريب ؟

- نعم .

- كنت فى انتظارك ، تفضل .

●●●

عندما دخل مسيو جربوا إلى مكتب المحامى كانت الساعة تدق الثالثة .

فقال :

- هذا هو الموعد الذى حدده لى ، ألم يصل بعد .

- لم يأت بعد .

جلس مسيو جربوا، وجفف جبينه وأخرج ساعته كما لو كان لا يعرف الوقت ، وعاد يقول فى قلق :

ـ هل سيأتى ؟

أجابه المحامى :

ـ أنت تسألنى ياسيدى عن الشىء الوحيد الذى أشعر بفضول كبير لمعرفته لَم أشعر أبداً يمثل هذه اللهفة ، وعلى كل حال فانه يجازف كثيرا بحضوره ، فهذا البيت محاصر تماما منذ خمسة عشر يوماً .. فالبوليس يرتاب فيه .

ويرتاب فى أنا أكثر ولهذا لست متأكدا من أن الرجال الذى كلفوا بمراقبتى قد فقدوا أثرى .

ـ وإذن ؟

صاح ميسو جربوا على الفور :

ـ لو أن هذا حدث فليست الغلطة غلطتى .. ولايمكن أن يلومنى أحد فقد وعدت أن أطيع أوامره قد أطعتها بكل دقة تسلمت النقود فى الساعة التي حددها وأتيت إليك متبعا الطريقة التى رسمها لى ، وبصفتي مسئولا عما حل بابنتى فقد وفيت بما وعدت بكل إخلاص ، وعليه هو أن يوفى بما وعد به الأن .

ثم أردف فى صوت يتهدج من القلق :

ـ انه سيأتينى بابنتي ، أليس كذلك ؟

ـ أرجو هذا ؟

ـ ولكن .. ألم تره ؟

ـ أنا ؟ كلا .. كل ما فعل أنه طلب منى فى خطاب أرسله الي أن أستقبلكما معا، وأن أصرف خدمى قبل الساعة الثالثة ، وألا أدع أحدا يدخل مكتبى فى الفترة بين مجيئك وانصرافه .. وأننى إذا لم أقبل هذا العرض فإنه يرجونى أن أخطره بذلك بإعلان فى جريدة

ايكودى فرانس ولكننى سعيد جدا إذ أقدم خدمة لأرسين لوبين وقد وافقت على كل ما طلب .

تأوه مسيو جربوا وقال :

- آه كيف سينتهى كل هذا ؟

وأخرج الأوراق المالية من جيبه وألقاها فوق المكتب ، وقسمها قسمين متساويين ولزم الرجلان الصمت ، وكان مسيو جربوا يرهف أذنيه من لحظة لأخرى ، ويسأل إن كان الجرس لم يرن وازداد قلقه مع مرور الوقت ، وكان الاستاذ دتنيان يعانى من نفس الشعور المقلق بل أنه فقد جأشه فجاة وقال وهو ينهض .

- لن يأتى وكيف تريد أن يأتي ؟ سيكون ذلك جنونا من ناحيته .. ان فى مقدوره ان يثق بنا فنحن رجلان شريفان لايمكن أن نغدر به ولكن الخطر ليس هنا فحسب .

وانهار مسيو جربوا ووضع يديه فوق الأوراق المالية وتمتم .

- فليات بحق الله .. فليأت .. سأعطيه كل هذا مقابل سوزان .

انفتح الباب فى هذه اللحظة وقال صوت :

- بل يكفينى النصف يا مسيو جربوا .

•••

كان هناك رجل يقف بالباب .. شاب أنيق الملبس ، عرف فيه مسيو جربوا على الفور ذلك الذى اعترضه بجوار محل الأشياء القديمة فى فرساى فوثب نحوه وقال :

- وسوزان ؟ أين ابنتى ؟

أغلق أرسين لوبين الباب خلفه فى عناية وقال مخاطباً المحامى وهو يخلع قفازه :

- لن أعرف يا أستاذى العزيز كيف أوفيك حقك من الشكر لقبولك الدفاع عن حقوقى .. لن أنسى ذلك أبدا .

تمتم الاستاذ دتنيان .. ولكنك لم تقرع الجرس .. ولم أسمع الباب .

- ان الأجراس والأبواب يمكن أن تؤدى دورها من غير أن يسمعها أحد أبدا والمهم هو أننا هنا مع ذلك .

عاد الاستاذ يسأل :

وابنتى .. سوزان ؟ ماذا فعلت بها ؟

قال لوبين :

- يا ألهى .. ما أشد تعجلك .. ولكن أطمئن .. لن تمر لحظة أخرى .. حتى تكون ابنتك بين ذراعيك .

وراح يتمشى فى الغرفة ثم قال بلهجة مالى كبير يوزع الثناء والمديح :

- اننى أهنئك يا مسيو جربوا على البراعة التى أبديتها منذ قليل .. لو ان السيارة لم تصب بذلك العطل الأحمق لالتقينا بكل بساطة فى مقهي الاتوال ، ولو فرنا على الأستاذ دتنيان مؤونة زيارتنا .

واستطرد وهو يرى الأوراق المالية :

- أه .. حسنا .. المليون هنا .

لن نضيع الوقت إذن هل تسمح ؟

قال الاستاذ دتنيان وهو يعترض طريقة ويقف أمام المكتب :

- ولكن لم تأت الأنسة جربوا بعد .

- وبعد ؟

- أليس وجودها أمرا حتميا ؟

- آه .. فهمت .. أن أرسين لوبين لايوحي بثقة تامة سيستولى على نصف المليون ولايرد الرهينة .. آه ان الجميع يسيئون فهمي ويرتابون فى حسن نواياى لا لشيء الا لأن مصيرى قادني إلى أعمال مشبوهة بعض الشيء فى حين أننى رجل شريف ورقيق.. ولكن اذا كنت خائفا يا استاذى العزيز فافتح نافذتك وأصرخ فهناك أثنا عشر من رجال الشرطة فى الخارج .

- هل تظن ذلك ؟

رفع ارسين لوبين الستارة وقال :

- أظن أن مسيو جربوا لم يستطع أن يضلل جانيمار.. ماذ قلت لك .. ها هو ذلك الصديق المغوار .

صاح الاستاذ :

- أهذا ممكن .. اقسم لك مع ذلك .

- أنك لم تغدر بى أبدا ؟ أننى لا أشك فى ذلك ، ولكن أصحابنا أذكياء جدا .. أنظر .. هذا هو فولنفان .. وجر يوم وديوزى وجميع الزملاء الأعزاء .

نظر الاستاذ دتنيان اليه فى ذهول وقد أدهشه هدوء لوبين .. كان يضحك ضحكة مرحة كما لو أنه طفل تروق له لعبة محببة إليه ولا يحدق به أى خطر .

طمأنه هدوء لوبين أكثر من رؤيته لرجال البوليس فأبتعد عن المكتب . حيث الاوراق المالية وتناول أرسين لوبين الرزمتين واستخلص من كل منهما خمسا وعشرين ورقة وقدم الخمسين للاستاذ دتنيان

وهو يقول :

ـ نصيب مسيو جربوا ونصيبى من أتعابك فنحن ندين لك بهذا تماما .

قال الاستاذ دتنيان :

ـ انتما لاتدينان لى بشىء .

ـ كيف هذا ؟ وكل الازعاج الذى تسببنا لك فيه .

ـ بل كل الاستمتاع الذى تسببتما فيه .

ـ معنى ذلك يا أستاذى العزيز انك لاتريد أن تقبل شيئا من أرسين لوبين ؟

وتنهد وأردف :

ـ هذا جزاء السمعة السيئة .

وقدم الخمسين ألفا لمسيو جربوا وهو يقول :

أسمح لى أن أقدم لك هذا المبلغ ذكرى للقائنا ثم انه هدية الزواج من قبلي للانسة جربوا .

اسرع مسو جربوا وأخذ الأوراق ولكنه قال :

ـ أن أبنتي لن تتزوج .

ـ انها لن تتزوج إذا انت رفضت أن تمنحها موافقتك ولكنها تصبو الي الزواج .

ـ وما ادراك ؟

أنني أعرف أن الفتيات يحلمن بذلك أحيانا بدون موافقه أبائهن ، ولحسن الحظ أن هناك جنيا يدعي أرسين لوبين ، وأن هذا الجنى اكتشف سر هذه الفتاة الرقيقة فى أدراج المكتب .

سأله مسيو دتنيان :

- ألم تجد فيه شيئاً أخر ؟ اعترف ان الفضول يدفعنى لمعرفة سر أهتمامك بذلك المكتب .

- سبب تاريخى ياأستاذى العزيز فعلي عكس ما يظن مسيو جربوا فانه لايحتوى على أى كنز آخر فيما عدا ورقة اليانصيب وهو أمر كنت أجهله ، كنت أتمسك بذلك المكتب وأبحث عنه منذ وقت طويل .. فهو مصنوع من خشب نادر ونفيس ومزخرف بنبات الافتنة ، وقد تم العثور عليه فى البيت المتواضع الذى كانت مارى فالفسكا تسكنه ومحفور على أدراجه هدية إلى نابليون بونابرت امبراطور فرنسا من خادمه المخلص مانسيون وأهداه نابليون بعد ذلك إلى زوجته جوزفين .. أما المكتب الموجود فى المتحف والذى يشاهده الناس فما هو إلا تقليد متقن لذلك الذى أضمه الأن إلى مجموعتى من التحف .

تأوه الأستاذ وقال :

واسفاه ، لو أننى عرفت ذلك ونحن فى المحل لتنازلت عنه على الفور .

قال لوبين وهو يضحك :

- ولاحتفظت لنفسك فوق ذلك بورقة اليانصيب رقم ٥١٤ من المجموعة رقم ٢٣ .

ولما اضطررت إلى أن تخطف ابنتي والتي عذبتها كثيرا .

- عذبتها ؟

- بهذا الاختطاف ؟

- ولكنك مخطىء يا استاذى العزيز ، فأنا لم أختطف الانسة جربوا .

ـ لم تخطف ابنتى ؟

ـ أبدا من يتكلم عن الاختطاف إنما يتكلم عن العنف فى حين أنها رضيت ان تكون رهينه عن طيب خاطر .

قال الأستاذ فى حيرة :

ـ عن طيب خاطر .

ـ وبناء على طلبها تقريبا إذ كيف ترفض فتاة حادة الذكاء وعلى درجة كبيرة من الثقافة كالآنسة جربوا العمل على اكتساب دوطتها ؟ آوه .. أنني أقسم لك أنها فهمت بكل سهولة انه لم تكن هناك طريقة أخرى للتغلب على عنادك .

بدا على الاستاذ دتنيان الطرب مما يسمع ، ولكنه اعترض قائلا :

ـ كان أصعب شىء هو التفاهم معها طبعا ، فليس من المعقول أن تتيح لك التعامل معها بسهولة .

ـ أوه ، لست أنا الذى كان له شرف التعامل معها ، وأنما هى إحدى صديقاتى ، أوفدتها اليها و ...

قاطعة الاستاذ دتنيان :

ـ لاريب أنك تعنى السيدة الشقراء ؟

ـ هو ذلك وقد تم الاتفاق بينهما على كل شىء فى أول لقاء لهما ، أمام الكلية، ومنذ ذلك اليوم والأنسة جربوا تنتقل بين بليجيكا وهولندا برفقة صديقتها الجديدة وتستمع بما تشاهده كأى فتاة أخرى تقضى أجازة سعيدة ثم أنها ستحدثك هى نفسها بكل ذلك .

وفى تلك اللحظة دق جرس الباب الخارجى ثلاث مرات سريعة ثم مرتين متتابعتين فقال لوبين :

ـ انها هي هل فتحت الباب يا أستاذى العزيز ؟

وأسرع المحامى .

•••

دخلت أمـرأتان ، ارتمت احـدهـمـا بين ذراعي مـسـيـو جـربـوا أمـا الاخـرى فقد اقتربت من لوبين ، وكانت طويلة القامة ممشوقة القوام .. شعـرها أشقـر سـاحر ينقسم إلى عصـابتين مـتـموجـتين ومتـهـدلتين وترتدى فستـانا أسـود ولاتتزين بشـيء أخر غير عقد من الشـيب من أربـع دوائر ، وتبدو غاية فى الأناقة .

وقـال لها أرسين لوبين بضـع كلمـات ثم حيا الآنسة جربـوا قائلا :

ـ أرجو أن تغفرى لى ما سببته لك من ازعاج يا أنسه ، كمـا أرجو ان تكونى قد استمتعت برحلتك .

ـ ازعاج ؟ بل أنني مـا كنت إلا لأشـعـر بالسـعـادة لو لم يكن هناك أبى المسكين .

ـ كل شيء علـى مايرام اذن .. قـبليه ثانيـة وانتـهـزى هذه الفـرصـة السعيدة وحديثه عن ابن عمك .

ـ ابن عمى ؟ ما معنى ذلك ؟ أننى لا أفهم .

ـ بل تفهمينى تماما .. ابن عمك فيليب.. ذلك الشاب الذى تحتفظين برسائلة بكل شغف .

اصطبغ وجـه سـوزان ، وفـقـدت هدوءها أخيرا، وارتمت من جديد بين ذراعى ابيـهـا كـمـا نصـحـهـا لوبين وتأملهـا هذا الأخـيـر فى حنو وقال :

ـ هذا أحسـن جزاء أتلقاه .. ياله من منظر مؤثـر ويا للاب السـعيد

ويا للفتـاة السـعيدة .. وهذه السـعادة من صنعى أنا ؟ سـيـشكرك هذان الشخصـان فيما بعد وسيـرددان اسـمك على احفادهما .. أوه ..

يالها من اسرة سعيدة .

ثم اتجه إلى النافذة وقال :

- إلايزال العزيز جانيمار هنا ؟

ربما راق له أن يشهد هذا المنظر المؤثر.. ولكن لا.. انه ليس هنا .. لم يعد هناك أحد.. لا هو ولا أخرون .. يا للشيطان ! ان الموقف أصبح جد خطير ولايدهشنى أن يكونوا قد دخلوا البيت الان.. ربما يتحدثون مع البواب ، أو لعلهم يصعدون السلم .

بدأ مسيو جربوا يتحرك ، فالآن وقد أعيدت اليه ابنته عاوده الاحساس بالواقع ، فان القبض على غريمه معناه استعادة النصف مليون .. وتقدم خطوة ، كأنما عفو الخاطر.. ولكن لوبين اعترض طريقه وقال :

- إلى أين يا مسيو جربوا هل تنوى أن تدافع عنى ضد البوليس ؟ هذه مكرمة كبيرة منك ولكن لاتزعج نفسك .: ثم اننى أقسم لك انهم اكثر منى ارتباكا واضطرابا .

- واستطرد يقول وهو يفكر :

- فماذا يعرفون في الواقع .. انك موجود هنا ، وان ابنتك موجودة هى الاخرى لأنهم لاريب رأوها تدخل مع أمرأة غريبة ولكن أنا ؟.. انهم واثقون انني غير موجود إذ كيف ادخل بيتا فتشوا كل ركن فيه هذا الصباح كل طبقا لكل الاحتمالات فهم ينتظروننى لإلقاء القبض على يا للمساكين الأعزاء هذا مالم يخطر على بالهم اننى أوفدت السيدة المجهولة لكى تقوم بإجراء المبادلة ، وفى هذه الحالة فهم يتأهبون لإلقاء .. القبض عليها عند انصرافها .

ودق جرس الباب فى هذه اللحظة .

وبحركة سريعة أوقف لوبين مسيو جربوا وقال فى صوت صارم :

- مكانك يا سيدى .. فكر فى ابنتك والزم جادة العقل وإلا .. أما انت يا أستاذ دتنيان فأرجو ان تكون عند وعدك لى .

وتجمد مسيو جربوا مكانه ، ولم يتحرك المحامي .

وأخذ لوبين قبعته بدون أي استعجال ، ونفض ما عليها من غبار بكم يده ثم قال :

- اذا حدث واحتجت إلي يا أستاذى العزيز .. كل تمنياتى لك يا أنسة سوزان ، وكل تحياتى لمسيو فيليب .

وأخرج من جيبه ساعه ضخمه في علبه من الذهب وقال :

- الساعة الأن الثالثة والدقيقة الثانية والأربعون يا مسيو جربوا وانى أسمح لك أن تغادر هذه الغرفة فى الساعة الثالثة والدقيقة السادسة والأربعين ولكن حذار أن تغادرها ولو قبل ذلك بدقيقة .

ولم يسع الأستاذ دتنيان إلا ان يقول :

- ولكنهم سيقتحمون الباب !

- وهل نسيت القانون يا أستاذى العزيز ؟ لن يجرؤ جانيمار أبدا على اقتحام بيت مواطن فرنسى أن أمامنا الوقت للعب البريدج لو أردت ولكن أغفر لى فيبدو لى أنكم على شيء من الاضطراب والانفعال انتم الثلاثة ولا أريد أن أستغل وقتكم .

ووضع ساعته فوق المكتب وفتح باب الصالون وخاطب السيدة الشقراء .. قائلا :

- هل أنت مستعدة أيتها الصديقة العزيزة ؟

وأفسح لها الطريق وألقى تحية أخيرة مجاملة للأنسة جربوا ثم خرج وأغلق الباب خلفه .

وسمعوه يقول فى البهو بصوت مسموع :

- صباح الخير يا جانيمار.. كيف حالك ، تحياتي إلى مدام جانيمار سأزورها ذات يوم لتناول الغداء .

وداعا يا جانيمار .

ودق الجرس مرة أخرى ، فى عنف هذه المرة ، ثم مرات متكررة ، وتناهت إلى الأسماع أصوات صاخبة وتمتم مسيو جربوا .

- الساعة الثالثة وخمس وأربعون دقيقة .

وبعد ثوان من التردد استقر عزمه فمضى إلى البهو ، ولم يكن هناك أثر للوبين أو للسيدة الشقراء .

وصاحت سوزان :

- أبى .. لايجب .. انتظر .

- انتظر.. هل جننت ؟ أجامل هذا الوغد .. والنصف مليون .

وفتح الباب ، فاندفع جانيمار إلى الداخل وهو يقول :

- تلك السيدة .. أين هى ؟ ولوبين ؟

- كان هنا .. بل هو هنا .

اطلق جانيمار صيحة انتصار وقال :

- لقد تمكنا منه .. ان البيت محاصر .

وقال الاستاذ دتنيان معترضا :

- ولكن لعله استخدم سلم الخدم .

- ان سلم الخدم يؤدى إلى الفناء، والفناء يؤدى إلى الباب العمومى .

وهناك عشرة رجال ينتظرون .

- ولكنه لم يدخل من الباب العمومى .. ولن يغادر البيت منه .

فقال جانيمار :

- ومن أين تريد أن يخرج ؟

وأزاح الستـار ورأى أمـامـه طـرقـة طويلة تؤدى إلى المطبـخ فتبـعـها مسرعا وتحقق من أن باب المطبخ موصد من الداخل بالمزلاج .

ونادى أحد رجاله من النافذه وسأله :

- هل رأيت أحدا ؟

- لا أحد .

فصاح :

- هما فى الشقة اذن .. مـختبئان فى إحدى الغرف فمن المستحيل ماديا أن يكونا قد أفلتا .. أه .. أه ايها العزيز لوبين طالما سخرت منى ولكننى سانتقم الآن .

●●●

وفى الساعة السابعة من مساء اليوم دهش مسيو ديدوا ، رئيس البوليس إذ لم يسمع أية انباء فمضى إلى شارع كلا بيرون وسأل رجال الشرطه الذين يحرسون البيت ثم صعد إلى مكتب الاستاذ دتنيان ، وهناك رأى رجلا أو بالحرى ساقين متدليين فوق السجاده بينما الجسد محشور فى المدخنة فقال وهو يضحك :

- ماذا تفعل داخل المدفاة يا جانيمار ؟

خرج المفتش من المدخنة وقد اسود وجهه واتسخت ثيابه وعيناه تلمعان من الحمى وبدا شكله بعيدا عن المألوف وقال متذمرا .

- أننى أبحث عنه .

- من هو ؟

- عن أرسين لوبين - ارسين لوبين وصديقته .

- أه ، وهل خطر ببالك انهما يختبئان في مواسير المدخنه ؟

نهض جانيمار ووضع خمسة أصابع بلون الفحم على ذراع رئيسه وقال محنقا وفى صوت أصم :

- وأين تريد أن يكونا أيها الرئيس ؟ يجب أن يكونا في مكان ما، أنهما مخلوقان ، مثلى ومثلك من لحم ودم وهما لم يتبخرا فى الهواء .

- هذا صحيح ولكنهما اختفيا مع ذلك .

- اين أين ..ان البيت محاصر وهناك شرطة فوق السطوح .

- والبيت المجاور؟

- ليس متصلاً بهذا البيت .

- ومساكن الطوابق الأخرى ؟

- إننى أعرف كل السكان .. لم يروا أحداً ولم يسمعوا أحداً .

- هل أنت واثق من أنك تعرفهم جميعاً ؟

- ان البواب يضمنهم ، ثم اننى زيادة فى الحرص أقمت أمام كل مسكن واحدا من رجالى .

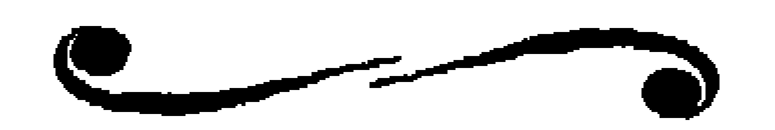
- ومع ذلك فيجب أن تلقى القبض عليهما .

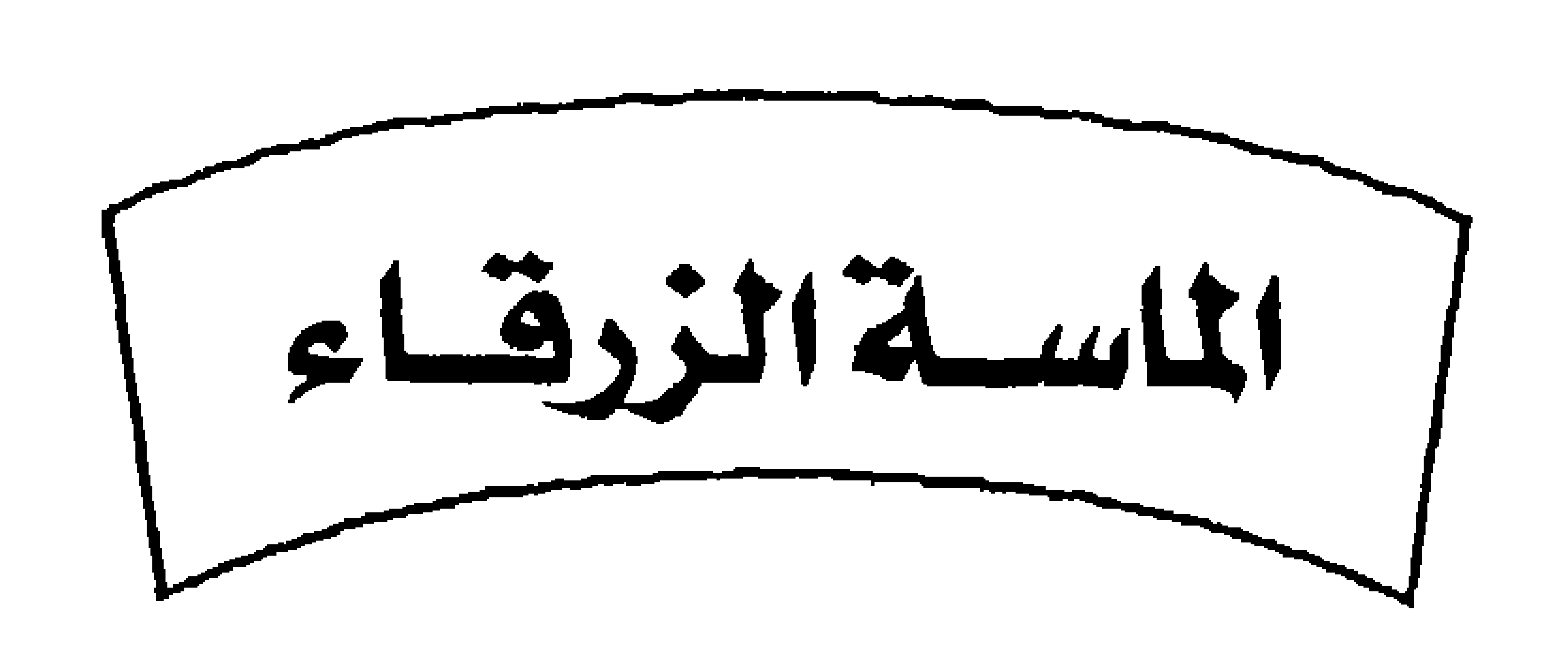
- هذا ما أقول ياسيدى الرئيس .. هذا ما أقول .. هذا ما يجب أن يكون وماسوف يكون لانهما هنا ولايمكن أن يكونا فى مكان أخر، اطمئن أيها الرئيس إذا لم ألق القبض عليهما هذه الليلة فسوف يكون ذلك غدا اننى سأبيت هنا .. سأبيت هنا .

وبات ليلتـه فى البيت فعلاً ، واليوم التإلى كذلك ، واليوم الذى تلاه أيضا ، وعندما مرت ثلاثة أيام كاملة وثلاث ليالي لم يكتشف لوبين ولا صديقته فحسب وانما لم يهتد إلى أى اثر يتيح له اقامه أية نظرية .

ولهذا لم يتغير رأيه عن الساعة الأولى أبدا .

ـ طالما انه ليس هناك ما يدل على انهما هربا فلابد انهما لايزالان هنا ولعله فى أعماق ضميره لم يكن مقتنعا بذلك ولكنه لم يشـأ ان يقر بالحقيقة كلا والف مره كلا .. ان رجلا وأمراه لايمكن أن يتبخرا هكذا كما لو أنـهما من الجن واستمر فى ابحاثه دون أن يفقد شجاعته كما لو انه كان يرجو أن يجدهما مختبئين فى مكان غير مطروق أو أنهما اندمجا فى أحجار البيت .





كان البارون دوتريك ، السفير الفرنسى السابق بالمانيا راقدا فى مساء اليوم السابع والعشرين من شهر مارس فى البيت رقم ١٣٤ بشارع هنرى مارتن الذى ورثه عن أخيه قبل ذلك بسته شهور، وكان يغامر فى هدوء وهو جالس بمقعده الكبير فى حين راحت وصيفته تقرأ له فى صوت مرتفع والأخت أوجست تعد له الفراش .

وكانت الاخت اوجست قد عقد ت النية على العودة إلى الدير على غير عادتها وقضاء الليل مع الرئيسة ، وقالت :

ـ اننى فرغت من عملى يا أنسه انطوانيت وسأنصرف الأن .

ـ حسنا أيتها الاخت .

ـ لاتنس ان الطاهية فى أجازه وأنك وحدك في البيت مع الخادم .

ـ اطمئني على البارون ، فاننى سأرقد فى الغرفة المجاورة كما اتفقنا وسأترك بابى مفتوحا .

وانصرفت الأخت ، وبعد لحظة أقبل الخادم لتلقى أوامره ، وكان البارون قد استيقظ فخاطبه قائلا :

ـ نفس الشىء يا شارل تحقق أن الجرس الكهربى يعمل فى غرفتك واسرع بالهبوط لاستدعاء الطبيب .

ـ ان سيدى شديد القلق دائما .

ـ اننى لست على مـايرام .. والآن يا أنسـه أنطوانيت إلى أين وصلنا ؟

ـ ألن تأوى إلى الفراش إذن يا سيدى البارون .

ـ كلا انني لن أنام على الفور ثم أننى لست بحاجة إلى أحد ولكن النوم غلبه بعد عشرين دقيقة ، وانصرفت انطوانيت على طرفى قدميها .

وفى تلك اللحظة كان شارل يوصد كل النوافذ فى الطابق الأرضى ووضع المزلاج فى باب مطبخ يفضى إلى الحديقة وزياده فى الحرص وضع سلسله الأمان ثم عاد إلى غرفته فى الطابق الثالث وأوى إلى فراشه .

غير انه وثب منه بعد حوإلى ساعة على صليل الجرس الكهربى الذي استمر نحو سبع أو ثمانى ثوان بدون انقطاع وقال وهو يسترد وعيه حسنا نزوة أخرى من نزوات البارون .

وارتدى ثيابه على عجل وهبط الدرج وتوقف أمام الباب ، وطرقه ولكن لم يرد عليه أحد فدخل وهو يقول :

ـ هذا عجيب ان الغرفه مظلمه فلماذا أطفىء النور بحق الشيطان .

وصاح بصوت مرتفع :

ـ يا أنسه انطوانيت .

ولكن ما من مجيب وعاد يقول :

ـ أين أنت يا أنسه انطوايت ؟ وماذا حدث هل سيدى البارون مريض ؟!

أحاطه نفس الصمت .. صمت ثقيل بدأ يقلقه فتقدم خطوتين

واصطدمت قدمه بمقعد وأدرك انه مقلوب والتقت يده على الفور بأشياء أخرى على الأرض منضدة صغيرة وحاجز وازداد قلقه فعاد نحو الجدار متحسساً وبحث عن مفتاح النور وأداره .

رأى جثه سيده البارون دوتريك وسط الغرفة بين المنضدة والدولاب فقال متعلثما :

ـ كيف هذا ؟ أهذا ممكن ؟

لم يدر ماذا يفعل ، وراح يتأمل بعينين متسعتين وفى ذهول ومن غير أن يتحرك الأشياء المقلوبة والشمعدان والكريستال الكبير لكنه محطم وشظاياه تملأ المكان والساعه ملقاة على رخام المدفأه،وكل ذلك ينبىء عن وقوع معركة عنيفة وضارية ومقبض خنجر يلمع على مقربه من الجثه وقد تلوث بالدم وفوق الفراش منديل ملوث هو الاخر بالدم .

وصرخ رعبا وهو يرى الجثه تتوتر وتهتز مرتين أو ثلاث ثم تتجمد وانحنى فوقها كان الدم ينبثق من جرح فى العنق ووجه البارون ينم عن رعب شديد وتمتم :

ـ لقد قتلوه .. قتلوه ..

وسرت فى بدنه الرعشه وقد خطر له وقوع جريمه أخرى، أفلا ترقد الوصيفه فى الغرفه المجاوره ، أو لم يقتلها القاتل هى الأخرى ؟

ودفع الباب ولكن الغرفة كانت خالية واستنتج ان انطوانيت ربما اختطفت أو أنصرفت قبل وقوع الجريمة .

وعاد إلى غرفه البارون ووقعت عيناه على المكتب ولاحظ أن أدراجه سليمه لم تغتصب بل أنه رأى سلسله المفاتيح والمحفظه التى يضعها البارون على الطاوله بجوار الفراش كل ليلة وحفنة من الجنيهات الذهبية وأخذ شارلى المحفظة وفحصها كان بها بضعه

أوراق ماليه أحصاها فاذا بها ثلاث عشرة ورقة كل منها من فئة المائة فرنك .

وكان الاغراء قويا عندئذ، فدس الاوراق الماليه فى جيبه بطريقه آليه دون ان يفكر ثم هبط الدرج ورفع المزلاج وسلسلة الامان وأغلق الباب وهرب عن طريق الحديقة .

•••

كان شارل رجلا أمينا ، فما كاد يغلق الباب ويصفعه الهواء الطلق ويحس بالمطر على وجهه حتى بدا له العمل الاجرامى الذى أقدم عليه على حقيقته ، وأحس بهلع مفاجىء .

ومرت به مركبه فنادى صاحبها وقال له :

ـ اسرع إلى مركز البوليس يا صاحبى وعد بالقوميسير.. أسرع ، فقد وقعت جريمه قتل .

ساط الحوزى جواده ولكنه عندما أراد شارل العودة إلى الداخل لم يستطع فقد أغلق الباب بنفسه وهو لايفتح من الخارج ومن ناحية أخرى لم تكن هناك جدوى من دق الجرس فلم يكن بالبيت أحد فراح يمشى على الرصيف ولم يستطع أن يروى للقوميسير ما حدث إلا بعد ساعه من الانتظار وأن يسلمه الأوراق الثلاث عشرة .

وفى أثناء ذلك جاءوا بأحد الحدادين وأفلح هذا الأخير بمشقة كبيرة من فتح باب الحديقة والباب الخارجى وصعد القوميسير، وما كاد يلقى نظرة حتى قال للخادم .

ـ أه .. ألم تقل ان الغرفة فى حالة كبيرة من الفوضى ؟

وقف الخادم مشدوها فكل المفروشات كانت فى مكانها الطبيعى فالمنضدة الصغيرة فى مكانها العادى وشظايا الشمعدان اختفت

وقال وهو فى منتهى الذهول :

ـ والجثه .. سيدى البارون !

صاح القوميسير :

ـ هذا صحيح .. أين القتيل ؟

وتقدم نحو الفراش ، ورفع الغطاء الكبير، ووجد البارون دوتريك طريحا فوق الفراش .. هادىء الوجه مطبق العينين .

تعلثم الخادم قائلا لقد دخل أحدهم .

ـ من أين ؟

ـ لا أدرى ولكن بعضهم دخل البيت أثناء غيابى.. انظر، كان هنا ، فوق الأرض خنجر رفيع من الصلب ، ومنديل ملوث بالدم فوق المنضدة ، وهما ليسا هنا الآن .. لقد أختفى كل شىء ، وأعيد ترتيب الغرفة .

ـ ولكن من الذى فعل ذلك ؟

ـ القاتل .

ـ اننا وجدنا كل الابواب مغلقة .

ـ معنى ذلك أنه بقى بالبيت .

ـ لابد أنه لايزال موجودا اذن مادمت لم تبتعد عن الرصيف .

فكر الخادم ثم قال فى بطء :

ـ هذا صحيح .. ولم ابتعد عن الباب .. ومع ذلك .

ـ دعنا نرى الأن .. من أخر شخص رأيته مع البارون .

ـ الانسة أنطوايت .. الوصيفة .

ـ وماذا حدث لها ؟

ـ تحقـقت من أن فـراشـهـا لم يمس ، ولاريب أنـهـا انتـهـزت فـرصـة غـيـاب الأخـت أوجـست لكـى تخـرج هـى الأخـرى ، وهـذا لايدهشـنى كثيرا ، فهى جميلة ، وشابة ..

ـ ولكن كيف خرجت ؟

ـ من الباب .

ـ انك وضعت المزلاج وسلسلة الأمان .

ـ لاريب أنها غادرت البيت قبل ذلك .

ـ وبذلك تكون الجريمة قد وقعت بعد انصرافها .

ـ بالطبع .

وفتـشـوا البـيـت من اعـلاه إلى اسـفله ومـخـازن الحبـوب والاقبـيه ولكـن القاتل كـان قد ولـى الأدبـار.. كيـف ؟ وفـى ايـه لحظـة ؟ وهل هو الذى اعاد إلى الغرفة نظامها وأخفى كل ما يمكن أن يدل عليه أم أنه أحد شركائه ؟ كانت هذه هى الأسئلة التى واجهها البوليس .

•••

أقبل الطـبيب الشرعى فى الساعة السابعة ، ثم رئيس البـوليس فى الساعة الثامنة ، وبعدهما النائب العام وقاضى التحقيق . وازدحم البيت برجال الشرطة والصحفيين وابن أخ البارون دوتريك ، وبعض أفراد أسرة القتيل .

وقاموا بتفتيش البيت بكل دقة ، ودرسوا وضع الجثة طبقاً لأقوال شارلى واستجوبوا الأخت أوجست عندما أقبلت ، ولكنهم لم يهتدوا إلى أى شىء أخر، بل أن الأخت أوجست استـغربت اختفـاء الآنسة انطوانيت بريهـا، فـهى التى الحقت الفـتـاة بخـدمـة البـارون قـبل ذلك باثنى عشر يومـاً بناء على شهادات ممتازة ، ورفضت الفكرة القائلة

بأنها تخلت عن المريض لكى تخرج وحدها بالليل .

وقال قاضى التحقيق :

ـ ثم أن المفروض أن تكون قد عادت أثناء ذلك .. ونعود عندئذ إلى نفس السؤال .. ماذا حدث لها ؟

قال شارلى :

لعل القاتل اختطفها .

كانت النظرية معقولة ، ونتفق مع بعض النقاط الظاهرة .. وقال رئيس البوليس :

ـ اختطفت ؟ لعمرى ، أن هذا ليس ببعيد .

وقال صوت عندئذ :

ـ ليس هذا ببعيد فحسب ، وإنما يتعارض مع وقائع نتائج التحقيق .

كان الصوت خشناً وعنيفاً.. ولم تبد الدهشة على أى أحد عندما رأوا أمامهم جانيمار ، فهو وحده الذى يغفرون له هذه الطريقة الخشنة فى التعبير عن رأيه .. وهتف مسيو ديدوا رئيس البوليس :

ـ آه .. أهذا أنت يا جانيمار ؟ لم أرك عندما أتيت .

ـ أننى هنا منذ ساعتين .

ـ أذن فأنت تهتم بأشياء أخرى غير ورقة اليانصيب رقم ٥١٤ من المجموعة ٢٣ ، وقضية شارع كلابيردون .. السيدة الشقراء وأرسين لوبين .

صاح المفتش العجوز :

ـ آه . آه .. لن أزعم أن لا دخل للوبين فى هذه القضية التى تشغلنا

الآن ولكن ، لنترك ورقة اليانصيب جانباً حتى يستجد جديد ، ولنهتم بالقضية التى أمامنا الآن .

●●●

وجـانيمـار ليس من رجـال البوليس الذين يتـمتـعون بذكـاء خـارق والذيـن سـيخلدهـم التـاريخ كدوبان وليكوك وشـرلوك هولمز .. ولكن له مـزايا مـتـوسطة فى الملاحظة والفطنة والمثـابرة ، وكـذلك فى الحـدس والتـخمـين ، وهو لايتـأثر بالبيـروقـراطيـة ، ويعمل فى حـرية تامـة ولولا الانفعال الذى يسببه له ارسـين لوبين لما حفل بأى شىء أو أهتم به .

ومـهـمـا يكن فـان دوره فى ذلك الصيـاح لم يكن ثانوياً .. وقـد قدر قاضى التحقيق مساعدته لهم ، إذ بدأ يقول :

- أننى أسال السيد شـارلى أن يوضـح لنا هذه النقطة قبل كل شىء آخـر هـل كـانت جـمـيع الأشـيـاء التى سـبق أن رآهـا فـى المرة الأولى مقلوبة .. وفى غير أماكنها، هل كانت فى أماكنها المعتادة عندما رآها فى المرة الثانية ؟

- نعم .

- من الواضـح إذن أنهـا اعيدت مكانـهـا بواسطة شـخص كـانت كل هذه الأشياء مألوفة له .

أثارت الملاحظة إعجاب الحاضرين ، واستطرد جانيمار :

- سؤال آخـر يامسـيـو شـارل .. تقـول أن رئيس الحـرس أيقظك ، فمن الذى تظنه استدعاك ؟

- سيدى البارون بالطبع .

- ليكن .. ولكن فى أية لحظة ؟

- بعد المعركة .. وهو مشرف على الموت .

ـ هذا مستحيل ، مادمت قد وجدته جثة هامدة ، فاقد الشعور ، فى مكان يبعد عن مفتاح الجرس بنحو أربعة أمتار .

ـ إذن فقد دق الجرس أثناء المعركة .

هذا مستحيل أيضاً مادمت تقول أن الرنين ظل مستمراً نحو سبع أو ثمانى ثوان دون انقطاع .. هل تظن أن القاتل يتركه يدق الجرس هكذا .

ـ إذن فقد دقة قبل ذلك ، عندما هاجمه القاتل .

ـ هذا مستحيل ، فقد قلت لنا أنه مر بين رنين الجرس ودخولك الغرفة ثلاث دقائق على الأكثر.. وإذا كان قد دق الحرس قبل ذلك فمعنى هذا أن المعركة والقتل والأحتضار لم يستغرق أكثر من ثلاث دقائق ، وأعود فأقول أن هذا مستحيل .

وقال قاضى التحقيق :

ـ ومع ذلك فقد دق أحدهم الجرس ، وإذا لم يكن هو البارون فمن يكون ؟ ـ القاتل .

ـ وما غرضه من ذلك ؟

ـ لا أدرى .. ولكن ذلك يدلنا على أنه كان يعرف أن الجرس متصل بغرفة الخادم .. ومن يمكنه أن يعرف ذلك ما لم يكن شخصاً من البيت بالذات .

وضاقت حلقة الشبهات ، وفى عبارات صريحة وواضحة ومنطقية ، وضع جانيمار المسألة فى وضعها الصحيح ، واتضحت فكرة المفتش العجوز بحيث انتهى قاضى التحقيق إلى أن يقول :

ـ معنى ذلك أنك ترتاب فى أنطوانيت بريها .

ـ لا أرتاب فيها فحسب وإنما أتهمها بأنها هى التى قتلت

البارون دوتريك .

ـ وما دليلك ؟

وعـرض تلك الخـصلة، وكـانت شـقـراء سـاطعـة كـأسـلاك الذهب ، وتمتم شارلى :

ـ نعم . هذه الخـصلة من شعـر الأنسـة أنطوانيت ، وليس هناك أى خطأ .

وأردف يقول :

ـ ثم هناك شيء آخر. أظن أن الخنجر الذى لم أره فى المرة الثانية خنجرها هـى بالذات .. كانت تستـخدمه فى فصل صفحـات الكتاب بعضها عن بعض .

وخـيم صـمت طويل ، وبدأ كـأن الجـريمة قـد ازدادت فظاعـة لأن امرأة ارتكبتها . وقال قاضى التحقيق :

ـ إذ فـرضنا مـؤقتـاً أن أنطوانيت بريها قـتلت البـارون ، فـلابد أن تكتشف كـيف خـرجت بعـد ارتكاب الجـريمة وكـيف عـادت ثانيـة بعـد خروج شارلى ، ثم كيف خرجت من جديد قبل قدوم البوليس .. ألديك فكرة عن ذلك يا مسيو جانيمار ؟

ـ أبداً .

وبدأ الأرتباك على جانيمار، وقال أخيراً وهو يبذل جهداً ظاهراً :

ـ كل مـا أستطـع قوله هو أننى أجد فى هذه الجريمة نفس الطريقة التى استخدمت فى قضية ورقة اليانصيب رقم ٥١٤ من المجموعـة ٢٣ .. نفـس الظاهرة التى يمكن أن ندعوها قدرة الاختفاء، فإن انطوانيت بريهـا ظهـرت ثم اخـتـفت فـى هذا البـيت بشكل غـامض تمامـاً كـمـا دخل أرسين لوبين مـسكن الأسـتـاذ دتنيـان ثم خـرج منه وبرفـقـتـه

السيدة الشقراء .

ـ ومعنى هذا ؟

ـ معناه أنه لايسعنى الا أن أفكر فى هاتين المصادفتين الغريبتين .

لقد ألحقت الأخت أوجست أنطوانيت بريها بخدمة البارون منذ أثنى عشر يوماً، أى غداة اليوم الذى أفلتت فيه السيدة الشقراء من بين أصابعى . والمصادفة الثانية هى أن شعر السيدة الشقراء له نفس اللون الأشقر الشديد الشبه للشعر الذى وجدناه هنا .

ـ بحيث أنك تظن أن أنطوانيت بريها .

ـ هى السيدة الشقراء بعينها .

ـ وأن لوبين هو الذى دبر هاتين الجريمتين ؟

ـ هو ذلك .

أنفجر رئيس البوليس ضاحكاً ، وقال فى طرب :

ـ لوبين .. دائماً لوبين .. أن لوبين فى كل مكان .

صاح جانيمار محنقاً :

ـ أنه يكون حيث يكون .

وقال مسيو ديدوا :

ـ ولكن لابد أن تكون لديه أسباب لكى يكون حيث يريد .. ويبدو لى ان الأمر شديد الغموض ، فان أدراج المكتب سليمة ، والحافظة لم تسرق .. بل لاتزال هناك قطع ذهبية فوق المنضدة .

صاح جانيمار :

ـ نعم .. ولكن .. والماسة الشهيرة ؟

ـ أية ماسة ؟

ـ الماسة الزرقاء .. الماسة الشهيرة التى كانت إحدى قطع التاج الملكى الفرنسى التى ظلت تنتقل من يد إلى أخرى واستقر بها المطاف بينى يدى الممثلة المشهورة ليونيه والتى اشتراها البارون دوترك أخيراً ذكرى لتلك الممثلة التى أحبها كل الحب .

قال قاضى التحقيق :

ـ من الواضح أن التفسير يبدو معقولا إذا نحن لم نجد الماسة الزرقاء ولكن أين نبحث عنها ؟

أجاب شارل :

ـ فى إصبع سيدى البارون .. فالماسة الزرقاء لم تكن تفارق يده اليسرى

قال جانيمار فى توكيد وهو يقترب من القتيل :

ـ إننى رأيت تلك اليد، ولم أر غير خاتم عادى من الذهب ، ويمكنكم أن تتأكدوا من ذلك .

قال الخادم : وهل قلبتها ورأيتها من ناحية الكف ؟

وبسط جانيمار أصابع السيد الملتوية ، فإذا بالماسة الزرقاء أمامه وتمتم فى ذهول :

ـ عجباً .. أننى لم أعد أفهم شيئاً .

وقال مسيو ديروا متهكماً :

ـ أظنك ستعدل الآن عن اتهام ذلك المسكين لوبين .

لزم جانيمار الصمت لحظة ، وراح يفكر ثم أجاب :

ـ بل أن ريبتى بلوبين تزداد عندما يستعصى على الفهم .

•••

تلك هى التحقيقات الأولى التى قام بها البوليس فى اليوم التالى لوقوع هذه الجريمة الغريبة ، وهى تحقيقات غامضة ومبهمة ، ولم يأت التحقيق فيها بعد ذلك بأية اثباتات أو براهين . وبقيت حركات إنطوانيت بريها مستغلقة تماماً كحركات السيدة الشقراء .. ولم يعرف أحد من تلك المخلوقة الغامضة ذات الشعر الأشقر التى قتلت البارون دوتريك وتركت الماسة الزرقاء فى يده .. والأكثر من هذا كله أن الفضول الذى أحاط بهذه الجريمة أثار اهتمام الرأى العام إلى حد كبير .

•••

استغل ورثة البارون دوتريك تلك الدعاية الضخمة ، فأقاموا مزاداً فى نفس البيت بشارع هنرى مارتان ، وعرضوا المفروشات والرياش والتحف الثمينة للبيع ، ومن بينها الماسة الزرقاء ، فى علبة من الزجاج فوق قاعدة من الكريستال مكسوة بالقطيفة الحمراء، وقام على حراستها رجلان من رجال الشرطة .

واحتشد الجمهور لمشاهدة تلك الماسة الشهيرة ، حتى أنه قد خيل للناظر أن أهالى باريس اجتمعوا كلهم فى ذلك القصر.. وبدأت المزايدة حتى بلغت مائة الف فرنك ، وبلغت أشدها بين اثنين من المزايدين هما مسيو هرشمان ، صاحب مناجم الذهب والكونتس دى كروزون الأمريكية الثرية التى اشتهرت بحيازتها لمجموعة كبيرة من الأحجار الكريمة النفيسة .

وراح المزايد يقول وهو ينقل بصره بين المتنافسين ٢٦٠ الفا .. ٢٧٠ ... ٢٨٠ .. أليس هناك من يزيد .

وقال هرشمان فجأة :

ـ ٣٠٠ ألفا .

وسـاد الصمت . ونظر الجميع إلى الكونتس كروزون .. كانت تقف مبتسمـة ، ولكن ابتسـامتـها كـانت تدل على اضطرابها وإنفعالها.. وأتكأت بذراعـها على المقعد الذى بجوارها .. وكان الجميع متـأكدين من نتيـجة هذا النضـال ، فقـد كان من المنطق والمحتـوم أن يكون فى صالح المالى الكبير الذى تتيح له ثروته الطائلة البالغة خمسمائة مليون فرنك الحصـول على كل مـا يشـتـهيـه .. ومع ذلك فقد نطقت الكونتس كروزون قائلة :

ـ ٣٠٥ ألفا .

وسـاد الصـمت من جديد ، وانتـقلت العـيون إلى ملك المناجم فى إنتظار مزايدته ، فى شغف ولهفة .. ولكن هرشمان ظل جامداً مكانه وعيناه محدقتان فى ورقة فى إحدى يديه بيـنما تحـتفظ اليد الأخرى بمـظروف ممزق .

وعاد المزايد يقول :

ـ ٣٠٥ الف فـرنك .. مـرة .. مـرتان .. ثلاث مـرات .. ولم ينطق هرشـمـان وبقى صـامـتاً .. ودق المزايـد المنضـدة بمطرقتـه مـعلناً رسـو المزاد علـى الكونتس كروزون ، وبدا كـمـا لو أن صـوت المطرقـة أيقـظ مسيو هرشمان فقد صاح يقول :

ـ ٤٠٠ ألـف فرنـك .

ولكـن الأوان كـان قـد فـات .. وأسـرع الجـمـيع حوله يسـألونه مـا الـذى حدث ، ولماذا لم ينطق قبل ذلك فضحك وقـال :

ـ ماذا حدث ؟ الحق إننى لا أدرى .. لقـد سـهوت لمجرد لحظة .

ـ أهذا ممكن ؟

ـ نـعم .. فقد تلقيت رسـالة فـى ذلك الوقت بالذات أزعجتنى .

وكـان جـانيمـار مـوجـوداً فى المزاد فـاقـتـرب من أحد الخـدم وسـأله قائلا :

- لاريب أنك أنت الذى سلمت مسيو هرشمان تلك الرسالة ؟

- نعم .

- ومن الذى أعطاها لك ؟

- سيدة .

- وأين هـى ؟

- أين هى .. هـا هـى .. هناك يا سيدى ، تلك التى تضـع على وجهها نقاباً كثيفاً .. والتى تهم بالخروج .

أسرع جانيمار إلى الباب .. ورأى السيدة تهبط الدرجات الأمـامية للقـصـر، فـجـرى خلفـهـا ، ولكن أعـتـرضـتـه جـمـاعـة من الناس أمـام البـاب .. وعندمـا خـرج لم يجـدهـا .. وعـاد إلى القـاعـة ، ومـضـى إلى مـسـيو هـرشـمـان وقدم له نفسـه وسـأله عن الرسـالة فـأعطاها المالى الكبير له .. وكـانت تحـتـوى على بضـع كلمـات سطرت على عـجل .. وهذا نصها :

" الماسـة الزرقـاء تجلـب النحـس لاتنـس مقتـل البـارون دوتريـك ."

●●●

ولم تنته مصائب الماسة الزرقاء عند ذلك .. فبعد أن إقترنت بمقتل البـارون دوتريك ، وبالأحـداث التى وقـعت أثناء المزاد كـان يجب لشـهرتها أن تبلغ الذروة بعد ستة شـهور.. والواقع أنها سـرقت من الكونتس كروزون التى لقيت كل العناء فى سبيل الحصول عليها.. وإليكم الآن موجزاً للأحداث المثيرة والمأسـاوية التى وقعت ، والتى أستطيع الآن أن ألقى عليها بعض الأضواء .

ففى مساء العاشر من شهر يوليه إجتمع ضيوف مسيو ومدام كروزون فى الصالون الفخم بالقصر الكبير الذى يشرف على خليج السوم .. وعزفت الموسيقى ، وجلست الكونتس أمام البيانو ، ووضعت فوق منضدة صغيرة بجواره مجوهراتها ، وبينها خاتم البارون دوتريك .

وبعد ساعة ، مضى الكونت كروزون إلى غرفة نومه ، كما انصرف ابنا عمه ومدام دى ريال، الصديقة الحميمة للكونتس كروزون ، وبقيت هذه الأخيرة بمفردها مع مسير بليخن ، القنصل النمسوى وزوجته .

وراحوا يتجاذبون الحديث ، ثم أطفأت الكونتس مصباحاً كبيراً على منضدة الصالون وأطفأ مسيو بليخن مصباح البيانو .. وسادت الظلمة لحظة تخللها شىء من التخوف ، ثم أشعل القنصل شمعة ، ومضى كل منهم إلى غرفته.. ولكن ما أن بلغت الكونتس غرفتها حتى تذكرت مجوهراتها فطلبت من وصيفتها أن تمضى لكى تأتيها بها .. وعادت هذه بعد قليل ووضعت المجوهرات على رف المدفأة من غير أن تفحصها سيدتها.. وفى الصباح تحققت الكونتس من اختفاء الخاتم ذى الماسة الزرقاء .. وأخبرت زوجها ، وكان استنتاجهما سريعاً ، ولما كانت الوصيفة فوق الشبهات فلم يكن السارق غير مسيو بليخن .

وابلغ البارون بوليس اميان ، فقاموا بالتحقيق وفرضوا رقابة شديدة وسرية حتى لايتمكن القنصل النمسوى من بيع الخاتم أو تهريبه .

ومضى أسبوعان دون أن يقع أى حادث .. وأبدى مسيو بليخن رغبته فى الرحيل ، وفى ذلك اليوم قدمت شكوى ضده وتدخل قوميسير البوليس بنفسه وأمر بتفتيش متاعه .. وعثروا على الماسة

فى علبة لمسحوق الأسنان فى حقيبة صغيرة يحتفظ القنصل بمفتاحها معه ولايتركه أبداً .

وأغمى على مدام بليخن ، وألقى القبض على زوجها .

ولم يستطع هذا الأخير أن ينفى التهمة عنه أو يفسر سبب وجود الماسة الزرقاء في حقيبته فيما عدا أنه انتقام من مسيو كروزون زاعماً أن هذا الأخير رجل صارم يقسو فى معاملة زوجته وأنه سبق أن نصح مدام كروزون أن تطلب الطلاق منه ، فنقم البارون عليه لهذا السبب ودس الماسة فى علبة المسحوق .. ولكن الكونت والكونتس أصرا على اتهامهما له.. ولم يستطع بوليس أميان الوصول إلى حل ، فالاتهام بين ومحتمل وتفسير القنصل هو الآخر بين ومحتمل وانقضى شهر وإدارة البوليس تتخبط ، وإزاء عجزها عن جلاء هذا السر العجيب طلب مسيو كروزون من إدارة بوليس باريس أن تنتدب لهما من يستطيع الكشف عن هذا الغموض . وأرسلت الإدارة المفتش جانيمار .

وقام جانيمار بالتحقيق أربعة أيام كاملة وهو يفحص البيت والحديقة ويتبادل الأحاديث الطويلة مع الوصيفة والسائق والبستانى وموظفى مكاتب البريد القريبة .. وفحص الجناح الذى كان يقيم فيه القنصل النمسوى هو وزوجته وابنا عم الكونت ومدام دى ريال .. ثم اختفى ذات صباح دون أن يستأذن مضيفيه .

وبعد أسبوع أرسل إليهما البرقية التالية :

" أرجوكما الحضور غداً الجمعة ، فى الساعة الخامسة مساء إلى المقهى اليابانى بشارع بواسى دانجلاس . جانيمار ..

•••

توقفت سيارتهما فى تمام الساعة الخامسة أمام رقم ٩ بشارع

بواسى دانجلاس .. وكان المفتش العجوز ينتظرهما أمام الباب فقادهما إلى غرفة بالطابق الأول بها شخصان قدمهما جانيمار قائلا :

- مسيو جربوا الاستاذ بجامعة فرساى والذى سرق منه أرسين لوبين نصف مليون فرنك ، كما لاشك تذكران، ومسيو ليونس دوتريك ، ابن أخ البارون ووريثه الشرعى .

وجلس الرجال الأربعة .. وبعد دقائق أقبل رئيس البوليس ، مسيو ديدوا ، وكان يبدو عليه الضجر ، وقال .

- ما الخبر يا جانيمار ؟ وصلتنى رسالتك التليفونية .. هل جد جديد ؟

- نعم يا سيدى الرئيس .. ففى أقل من ساعة ستبلغ الأحداث التى ساهمت فى التحقيق فيها ذروتها الأخيرة .. وبدا لى أن وجودك أمر لابد منه .

- وهل لابد أيضاً من وجود ديوزى وفولنفان اللذين رأيتهما أمام المقهى ؟

- نعم يا سيدى الرئيس .

- ولأى سبب ؟ هل تنوى القبض على أحد ؟

تردد جانيمار بضع لحظات ثم قال بلهجة من يريد التأثير على مستمعيه :

قبل كل شىء أؤكد أن لادخل لمسيو بليخن فى سرقة الماسة .

قال مسيو ديدوا :

- أوه .. هذا قول بسيط .. وخطير جدا .

وسأله الكونت :

ـ أهـذا هـو الاكتشـاف الذى انتهت إليه أبحاثك ؟

ـ كلا يا سيدى .. ففى اليوم الثالث لوقوع السرقة ذهب ثلاثة من ضـيـوفك لزيارة برج كـريس .. وبـينمـا كـان اثنان منهم يشـاهدان المعسكر المشـهور قصـد الثـالث مكتب البـريد وأرسل علبـة صـغيـرة ملفوفة ومخـتومـة بالشـمع الأحمـر وادعى بأن محـتوياتها لا تتجـاوز مائة فرنك .

قال الكونت كروزون :

ـ وما وجه الغرابة فى ذلك ؟

ـ قد تبدو لك غرابته حين تعرف أن ذلك الشـخص لم يذكر اسمه الحقيقى ، وأنه انتحل لنفسه اسم روسو وأن المرسل إليه رجل يدعى بيلو ويقيم فى باريس .. وأن هـذا الأخيـر انتـقل من مسكنه فى نفس اليوم الذى تلقى فيه العلبة ، أو بمعنى أدق الماسة .

قال الكونت :

ـ: لعله أحد ابنى عمى دانديل .

ـ كلا .

ـ هل تقصد أن تقول مدام دى ريال ؟

ـ نعم .

صاحت الكونتس مشدوهة :

ـ هل تتهـم صديقتى مدام دى ريال ؟

قـال جانيمـار :

ـ ارجو الاجابة على سؤال صغير أولاً يا سيدتى .. هل حضرت مدام دى ريال المزاد الذى تم فيه بيع الماسة الزرقاء ؟

- نعم .. بل أعتقد أنها هى أول من حدثتنى عنها .

- الثابت من قولك هذا يا سيدتى أن مدام دى ريال هى أول من لفت نظرك إلى هذا الخاتم وإنها نصحتك بشرائه .

- ومع ذلك .. فان صديقتى لايمكن أن ..

- معذرة يا سيدتى .. أن صداقتك بمدام دى ريال ليست حميمة كما ذكرت الصحف ، الأمر الذى أبعد عنها الشبهات انت لاتعرفينها إلا منذ الشتاء الماضى، وأننى أستطيع أن أذكر لك أن كل ما ذكرته لك عن نفسها وعن ماضيها وعلاقاتها كذب فى كذب ، وأن مدام بلانش دى ريال لم يكن لها وجود قبل أن تلتقى بك ، وأنه لا وجود لها كذلك فى الوقت الحاضر .

- وبعد ؟ هذه قصة غريبة جداً.. ولكن ما علاقتها بقضيتنا هذه ؟ إذا كانت قد أخذت الخاتم ، وهو أمر غير أكيد ، فلماذا أخفته فى علبة المسحوق بحقيبة مسيو بليخن ، فان الذى يسرق شيئاً إنما يحتفظ به لنفسه .. فما ردك على هذا ؟

- ليس عندى رد .. ولكن مدام دى ريال سترد عليه .

- هى موجودة اذن ؟

- نعم موجودة دون أن يكون لها وجود .. وإليك الأمر فى بضع كلمات . منذ ثلاثة أيام وقع نظرى فى إحدى الصحف التى أقرأها كل يوم على قائمة بأسماء الأشخاص الذى اختلفوا إلى فندق بوريفاج بتروفيل ، ومن بينهم سيدة تدعى مدام دى ريال.. ولعلك تفهمين إننى ذهبت فى نفس الليلة إلى تروفيل ، وقد تحدثت مع مدير الفندق ، ومن أوصافه ، ومن الأوصاف التى جمعتها عرفت أن مدام دى ريال هى نفس المرأة التى أبحث عنها . ولكنها كانت قد غادرت الفندق تاركة عنوانها بباريس ، وهو رقم ٣ بشارع كوليزيه.. ومضيت

أول أمس إلى ذلك العنوان ، وعلمت هناك أنه ليست هناك مدام دى ريال وإنما سيدة تدعى مدام ريال ، تقيم فى الطابق الثانى وتعمل سمسارة فى تجارة الماس وإنها كثيرة الأسفار ، وعرفت أنها عادت بالأمس بالذات من إحدى رحلاتها .. فطرقت بابها ، وعرضت عليها باسم مستعار خدماتى كوسيط فى شراء الأحجار الثمينة .. وقد تواعدت معها على اللقاء اليوم لكى نعقد أول صفقة .

- كيف هذا ؟ هل تنتظرها ؟

- فى تمام الخامسة والنصف .. وأنا واثق تماماً أنها مدام ريال التى كانت فى قصر كروزون ، ولدى أدلة حاسمة .. ولكن .. أننى اسمع إشارة فولنفان .

ذلك أن صفيراً خافتاً انطلق فى الشارع فى هذه اللحظة.. وأسرع جانيمار بالنهوض وهو يقول :

- ليس هناك وقت . تفضلى إلى الغرفة المجاورة يا مدام كروزون ، وأنت كذلك يا مسيو دوتريك .. وكذلك أنت يا مسيو جربوا .. سأدع الباب مفتوحاً وسأطلب منكم التدخل عند أول بادرة .. أما أنت يا سيدى الرئيس فأرجوك أن تبقى .

قال مسيو ديدوا :

- وإذا أقبل أشخاص آخرون ؟

- كلا .. هذه المقهى جديدة وصاحبها من أصدقائى ولن يدع أحداً يدخل .. فيما عدا السيدة الشقراء .

- تقول السيدة الشقراء ؟

- هى بعينها يا سيدى الرئيس صديقة ارسين لوبين .. الغادة الشقراء الغامضة .. ولدى الأدلة الدامغة على ما أقول .. ولكننى اريد

أن أجمع زيادة على ذلك شهادات جميع الذين سرقتهم .

وأطل من النافذة ، وقال :

ـ أنها تقترب .. ها هى ذى تدخل .. لم يعد أمامها وسيلة للهرب ، ففولنفان وديوزى يحرسان الباب .. لقد وقعت الغادة الشقراء بين أيدينا يا سيدى الرئيس .

•••

وعلى الفور تقريباً ، ظهرت بالباب امراة طويلة القامة ممشوقة القوام ، ذات شعر ذهبى .. وأحس جانيمار بأنه يكاد يختنق ، وعجز عن الكلام ، فهاهى ذى أمامه ، وياله من انتصار على أرسين لوبين ، وياله من انتقام . وبدا له فى نفس الوقت أن ذلك الانتقام من السهولة بحيث خشى أن تفلت السيدة الشقراء من بين يديه ، بإحدى المعجزات التى اشتهر بها ارسين لوبين .

ومع ذلك فقد توقفت وقد أدهشها هذا الصمت ، وأثار قلقها فى نفس الوقت .. وفكر جانيمار : أنها ستنصرف .. أنها ستختفى .

وأسرع فوقف بينها وبين الباب ، فتحولت تبغى الانصراف ولكنه قال : كلا .. كلا .. لماذا تريدين الانصراف ؟

ـ ولكننى لا أفهم سلوكك هذا يا سيدى .

ـ ليس لديك أى سبب يدعوك إلى الانصراف ، ولكن لدى أنا كل الأسباب لاستبقائك .

ـ ولكن ...

ـ لافائدة يا سيدتى .. لن تخرجى من هنا .

تهالكت فوق مقعد وقد امتقع وجهها وقالت :

ـ ماذا تريد ؟

وهكذا انتصر جانيمار، وأمسك بالسيدة الشقراء .. وتمتم وهو فى ذروة انتصاره .. أننى أقدم لك هذا السيد، وهو الذى حدثتك عنه وقلت لك أنه يريد شراء بعض المجوهرات.. ومن الماس بالذات ، فهل أتيت بما وعدتنى به ؟

ـ كلا .. كلا لا أدرى .. لا أتذكر ..

ـ بل أنك تتذكرين جيداً.. قلت لى إن أحد معارفك سيعطيك ماسة ملونة ، وسألتك مازحاً :

ـ ماسة كالماسة الزرقاء ، فأجبتنى :

ـ تماماً .. ربما أستطيع أن آتيك بها .. أفلا تتذكرين ؟

لزمت المرأة الصمت .. ووقعت من يدها حقيبة صغيرة كانت تمسك بها فأسرعت بالتقاطها ، وضمتها إلى صدرها بأصابع مرتعشة .. وقال جانيمار :

أرى يامدام ريال أنك لاتثقين بنا .. وسأعطيك أنا المثل الطيب ، وأريك ما معى .

وأخرج من جيبه ورقة نشرها ، وعرض عليها خصلة من الشعر وهو يقول هذه بضع شعيرات من أنطوانيت بريها، انتزعها البارون منها واستخلصناها من يده .. وقد رأيت الآنسة جربوا ، وتعرفت تماماً على لون هذا الشعر وقالت أنه نفس شعر السيدة الشقراء، وهو نفس لون شعرك .

راحت مدام ريال تنظر إليه فى غباء ، كما لو أنها لاتفهم شيئاً مما يقول فى حين استطرد :

ـ وهاك الآن زجاجتى عطر، وصحيح أنهما فارغتان ، وليس عليهما علامة تميزهما ولكن مازالت بهما رائحة استطاعت الآنسة جربوا أن

تتبين منها نفس العطر الذى كانت السيدة الشقراء تستخدمه طوال الاسبوعين اللذين رافقتهما فيها.. وإحدى هاتين الزجاجتين وجدناها فى الغرفة التى أقامت فيها مدام دى ريال فى قصر كروزون ، والأخرى فى الغرفة التى نزلت فيها فى فندق بوريفاج .

- ماذا تقول ؟ السيدة الشقراء .. قصر كروزون .

وضع المفتش ، من غير أن ينطق ، أربع ورقات فوق المائدة وهو يقول: وعلى هذه الورقات الأربع نموذج لخط أنطوانيت بريها ، وآخر للسيدة التى كتبت لمسيو هيرشمان أثناء المزاد الذى بيعت فيه الماسة الزرقاء ، ونموذج ثالث لخط مدام دى ريال أثناء أقامتها فى قصر كروزون ؟ والرابع لخطك أنت يا سيدتى.. اسمك وعنوانك اللذين تركتهما فى مكتب الاستقبال بفندق بوريفاج . والنماذج الأربعة متشابهة تماماً .

- ولكنك مجنون أيها السيد .. مجنون .. ما معنى هذا ؟

صاح جانيمار مزهواً :

- معناه يا سيدتى أن السيدة الشقراء صديقة أرسين لوبين ، ليست سواك .

وفتح باب الغرفة المجاورة وجذب مسيو جربوا من كتفيه وهو يقول :

مسيو جربوا .. هل تعرف من هذه السيدة السيدة التى اختطفت ابنتك والتى رأيتها عند الاستاذ دتنيان ؟

- كلا .

سادت لحظة انفعال وذهول كبيرين .. وترنح جانيمار وهو يقول :

- كلا .. أهذا ممكن ؟ فكر جيداً .

- لاداعى للتفكير.. هذه السيدة شقراء كالسيدة الشقراء .. وشاحبة مثلها .. ولكنها لاتشبهها أبداً .

- لا أستطيع أن أصدق. هذه غلطة لايمكن أن أقع فيها.. مسيو دوتريك ، هل تعرف فى هذه أنطوانيت بريها ؟

- أننى رأيت انطوانيت بريها عند عمى ، وهى ليست هذه .

وقال الكونت كروزون فى توكيد :

- وهى ليست مدام دى ريها .

كانت هذه العبارة الأخيرة الضربة القاضية التى أصابت جانيمار فاستولى عليه الذهول ، وعجز عن النطق وتهربت عيناه ، فقد انهار كل ما بناه من أدلة وبراهين .. ونهض مسيو ديدوا وقال :

- أرجو أن تلتمس لنا العذر يا سيدتى ، فقد وقع خطأ مؤسف أرجوك أن تنسيه .. ولكن الشيء الذى لاأفهمه هو اضطرابك وسلوكك الغريب منذ أن دخلت هنا .

- ولكن هذا أمر طبيعى ياسيدى ، فقد كنت خائفة ، وفى حقيبتى مجوهرات بمائة ألف فرنك ، وتصرفات صديقك لم تكن توحى بالأمان .

- ولكن رحلاتك المتعددة ؟

- ألاتحتمها طبيعة عملى يا سيدى ؟

وأسقط فى يد رئيس البوليس ، وتحول إلى المفتش وقال له :

- أنك جمعت معلوماتك فى استخفاف يا جانيمار، وأسأت التصرف مع السيدة .. وسأطلب منك تفسيراً لذلك فى مكتبى .

وانتهت المقابلة وتأهب رئيس البوليس للانصراف عندما وقع شىء أثار الحيرة حقاً .. فقد اقتربت مدام ريال من المفتش وقالت له :

ـ سـمعت هذا السـيد يدعوك باسـم جانيمار.. فهـل هـذا اسمك ؟

ـ نعم .

ـ هذا الخطـاب لابد أن يكون لك إذن .. فـقـد تلقـيتـه هذا الصبـاح وعليه العنوان الذى يمكنك أن تقرأه :

إلى السيد جوستاف جانيمار ، طرف مدام ريال .. وقد خطرلى أن الأمر مجرد مداعبة من شخص ما لأننى لم أعرفك بهذا الأسم ، ولكن يبدو وأن مرسل الخطاب المجهول كان على علم بلقائناً .

هـم جانيمـار، وهـو فـى سورة غضبة أن يمسك بالخطاب ويمزقه ، ولكنه لم يجرؤ على ذلك أمـام رئيسـه فـأخـذه وفضـه .. وكـان الخطاب يضم الكلمات الآتية " التى قرأها فى صوت يكاد لايسمع :

" كانت هناك ذات يوم سيدة شـقراء وكان هناك رجل يدعى لوبين وآخر يدعى جـانيمـار.. وأراد الشـرير جانيمـار إلحاق الأذى بالسيدة الشـقـراء ، ولم يرق ذلك للوبين الطيب القلب .. ولما كـان لوبين الطيب القلب يريد أن تتـوطد الصـداقـة بين السـيـدة الشـقـراء والكونتس دى كروزون فقد عمل على أن تتقدم السيدة الشقراء إلى الكونتس منتحلة اسم مـدام دى ريال وهـو يكاد يكون اسـم مـدام ريـال ، وهـى تاجـرة شريفة لها شـعـر أشـقـر ووجه شـاحب .. وقـال لنفسـه أنـه إذا حـدث واهتدى الشـرير جـانيمار إلى أثر السيدة الشـقـراء .. فـانه ليكون من المفـيـد أن أضلله وأجـعله يقـتـفى أثر التـاجـرة الشـريفـة ، وهــذا احتيـاط حكيـم وله فائدتـه.. وأرسل لوبين كلمة صغيرة للجريدة التى يقرأها جـانيمـار كـما بعث برسـالة عطر نسـيتـهـا السيدة الشـقراء عن عمد فى فندق بوريفاج .

وكتـبت السيدة الشقراء الحقيقية اسم وعنوان مدام ريال فى سـجل الفندق .

ونجح المقلب .. فما رأيك فى هذا يا جانيمار ؟ أردت أن أروى لك القصة بالتفصيل ، وأنا أعلم أنك سوف تضحك كما هو معروف عنك لحبك للمداعية والحق أن هذه دعابة لاذعة ، واعترف من ناحيتى أننى لهوت كثيراً .

تحياتى لك يا صديقى العزيز ولمسيو ديدوا .

أرسين لوبين"

ولكن جانيمار لم يضحك ، بل تأوه قال :

ولكنه يعرف كل شيء .. يعرف أموراً لم أذكرها لأحد ، فكيف عرف أننى سأطلب منك القدوم أيها الرئيس .. وكيف عرف بنبأ أكتشافى للزجاجة الأولى ؟ كيف استطاع أن يعرف ؟

وراح يضرب الأرض بقدميه ، ويشد شعر رأسه وهو فريسة ليأس مفجع وأشفق مسيو ديدوا عليه وقال :

- هيا يا جانيمار.. لاتحزن ، فقد يحبوك الخط وتوفق فى المرة القادمة.

وانصرف رئيس البوليس وفى صحبته مدام ريال .

•••

مرت عشرون دقيقة وجانيمار يعيد قراءة رسالة لوبين .. وجلست مدام دى كروزون ومسيو دوتريك ومسيو جربوا وراحوا يتحدثون فى إنفعال . وتقدم الكونت أخيراً من المفتش وقال له :

- يتضح من كل ذلك أيها السيد العزيز أننا لم نتقدم خطوة واحدة

- عفواً .. أن تحقيقاتى أثبتت أن السيدة الشقراء هى بطلة هذه الأحداث دون أى شك ، وأن لوبين هو الذى حرضها ، وهذه خطوة كبيرة .

- ولكنها لاتفيدنى فى شىء .. بل أن اللغز تعقد أكثر.. أن السيدة الشقراء قتلت لكى تسرق الماسة الزرقاء ، وهى لم تسرقها لنفسها وإنما تخلصت منها لصالح شخص آخر .

- لاحيلة لى فى ذلك .

- هذا امر مؤكد . ولكن غيرك قد تكون له حيلة .

- ماذا تقصد أن تقول ؟

تردد الكونت ولكن الكونتس تكلمت نيابة عنه فقالت على الفور :

- هناك رجل .. رجل واحد جدير بمنازلة لوبين والتغلب عليه.. ألديك اعتراض يا مسيو جانيمار فى أن نطلب معونة شرلوك هولمز ؟

بدأ القلق على وجه جانيمار وقال :

- كلا.. ولكننى لا أفهم ..

- أن كل هذا الغموض يكاد يخنقنى ، وأريد أن أرى الأمر بوضوح .. ومسيو جربوا يشاركنى الرأى . وكذلك مسيو دوتريك .. وقد اتفقنا على الاستعانة بالبوليس السرى الانجليزى الشهير .

قال المفتش فى إخلاص لم يكن بعيداً عن الصدق :

أنت على حق يا سيدتى .. فان جانيمار العجوز ليس أهلاً لمنازلة أرسين لوبين .. ولكن هل يفلح شرلوك هولمز فى ذلك ؟ إننى أتمنى له ذلك لأننى شديد الإعجاب به .. ومع ذلك فهو أمر بعيد الاحتمال .

- أتراه أمراً بعيد الاحتمال حقاً ؟

- هذارأيى.. فاننى أعتبر أن نضالاً بين شرلوك هولمز وارسين لوبين لن تكون نتيجته إلا الفشل .

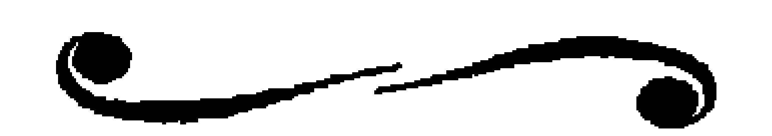
- هل يمكنه الإعتماد عليك على كل حال ؟

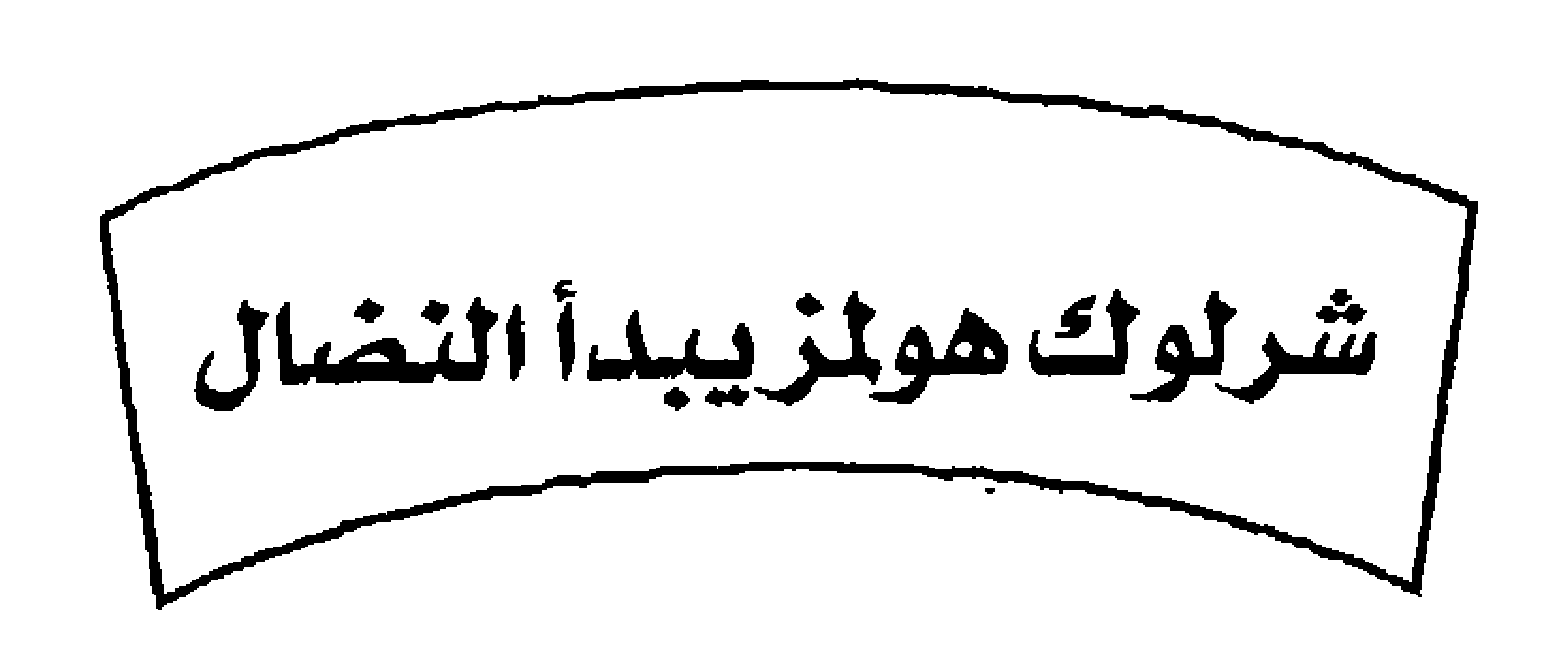
ـ كل الاعتماد يا سيدتى .. أننى لن أبخل عليه بمساعدتى أبداً .

ـ هل تعرف عنوانه ؟

ـ نعم .. رقم ٢١٩ بشارع باركر .

وفى نفس الليلة سحب الكونت وزوجته شكواهما ضد القنصل بليخن ، وأرسلا خطاباً إلى شرلوك هولمز .





دعانى أرسين لوبين لتناول العشاء فى مطعم صغير بمحطة الشمال . وكان يحلو له أن يلتقى بى من وقت لآخر فيحدد لى تليفونياً مكان اللقاء . وكان سعيدا بالحياة كطفل صغير .. وفى كل مرة التقى به فيها يروى لى مغامرة من مغامراته العديدة .

بدا لى فى ذلك المساء أكثر حيوية من كل وقت مضى .. كان يضحك ويثرثر فى مرح غريب ، تشوب صوته تلك السخرية التى اشتهر بها وهى سخرية تلقائية ، بعيدة عن المرارة ، ولم يسعنى إلا أن أعبر له عن سرورى فضحك وقال :

- نعم يا صديقى .. تمر بى أيام يبدو لى فيها كل شىء مرحاً ولذيذاً ، وأشعر فيها أن حياتى كنز لن ينضب أبداً .. والله وحده يعلم أننى أعيش بلا حساب .. والحق أن حياتى جميلة فما على إلا أن أريد فاصبح بين يوم وليلة لا أدرى .. خطيباً أو رئيس ورشة أو رجل سياسة.. ولكننى اقسم لك أن ذلك لايخطرلى أبداً .. فأنا أرسين لوبين وسأظل ارسين لوبين ، وأبحث عبثاً فى التاريخ عن مصير كمصيرى ، حافل ومتسع ومشحون .. نعم .. ربما نابليون ، ولكن نابليون ، فى أواخر ثم حياته هزمته أوروبا وكان يتساءل فى كل معركة إن لم تكن تلك معركته الأخيرة .

أتراه كان يتكلم جدياً أم أنه كان يمزح.. ارتفعت رنة صوته

وازدادت حماساً وهو يسترسل قائلا :

- أن الخطر يحدق بحياتي بإستمرار.. أنني استنشق الخطر كما يستنشق سواى الهواء .. واشعر به حولى يهدر.. ويدوى ويترصدنى، ويدنومنى .. وأظل هادئاً في قلب العاصفة ، لا أتحرك ولا أبالى والا فسوف أضيع ، وليس هناك أحساس يعادل إحساسى هذا، إحساس السائق الذى يقود عربة سباق ، ولكن السباق سرعان ما ينتهى ، وسباقى أنا يدوم طوال الحياة .

صحت أقول :

ما هذا الحماس ! وهل تريدنى أن أصدق أنه ليس هناك من هدف تسعي إليه ؟

ابتسم وقال :

- أنت رجل ذكى .. الحقيقة أن هناك هدفاً .. وصب لنفسه كوباً من الماء البارد وجرعه ثم قال :

- هل قرأت جريدة الطان التى ظهرت صباح اليوم ؟

- كلا .

- لقد عبر شرلوك هولمز المانش ووصل باريس فى نحو الساعة السادسة .

- يا للشيطان ! ولماذا ؟

- رحلة بسيطة على حساب الكونت كروزون وزوجته وابن الأخ دوتريك والاستاذ جربوا.. وقد التقوا جميعاً فى محطة الشمال وانضموا بعد ذلك إلى جانيمار ، وهم يتداولون الآن .

ورغم فضولى الكبير لا أسمح لنفسى أبداً بسؤال ارسين لوبين عن أحداث حياته الخاصة قبل أن يحدثنى هو عنها .. ثم أنه فى ذلك

الوقت بالذات لم يأت ذكر أسمه رسمياً فى قضية الماسة الزرقاء ولهذا تجملت بالصبر .

واستطرد هو يقول :

ـ وقد نشرت الطان أيضاً حديث جانيمار ويقول فيه أن سيدة شقراء يزعم أنها صديقة لى قتلت البارون دوتريك ، وحاولت أن تسرق خاتم مدام كروزون ، وهو يتهمنى طبعاً بأننى المحرض لهاتين الجريمتين .

سرت فى بدنى رعشة خفيفة .. هل هذا صحيح . هل يمكن أن أصدق أن عادة السرقة وطبيعة حياته ومنطق الأحداث نفسها جرت هذا الرجل حتى جريمة القتل نظرت إليه فاحصاً .. كان يبدو هادئاً جداً تنطق عيناه بالصراحة .. وتمتمت :

ـ أن جانيمار مهووس .

ولكنه احتج قائلا :

ـ كلا .. أنه رجل رقيق الشعور ، بل أنه نبيه فى بعض الأحيان .

ـ نبيه ؟

ـ بلى .. فهذا الحديث مثلا ، إنما هو ضربة .. معلم ، فهو يعلن قبل كل شىء عن قدوم غريمه الانجليزى حتى ينبهنى ويزيد مهمة هولمز صعوبة وثانياً يحدد النقطة التى بلغ فيها من أبحاثه وتحقيقاته حتى لايجنى هولمز وإلا ثمار اكتشافاته هو بالذات .

ـ مهما يكن فان أمامك الآن خصمين ، وأى خصمين !

ـ أوه ، أننى لا أعمل حساباً لأحدهما على الاطلاق .

ـ والآخر ؟

ـ هولمز ؟ اعترف بأنه ند لى ، وهذا هو مبعث مرحى ، وغبطتى ،

فهى مسألة كرامة قبل كل شىء ، فهم يعتقدون أن الانجليزى الشهير لن يخيب رجاءهم، وأن النزال بينى وبينه سيكون مثيراً، ثم أننى ساضطر إلى استخدام كل مواهبى ، فاننى أعرف الرجل وهو لن يحجم عن شىء .

- هل هو قوى ؟

- بلى قوى جداً .. لا أعتقد أن هناك من رجال البوليس من يعادله . ولكننى أمتاز عليه بشىء وهو أنه يهاجم فى حين أننى أدافع عن نفسى ، ودورى أسهل من دوره .. زد على ذلك .

وابتسم ابتسامة خفيفة واسترسل :

- زد على ذلك اننى أعرف طريقته فى النضال ، فى حين أنه لايعرف طريقتى .. وانى احتفظ له ببعض المفاجآت التى ستحمله على التفكير .

وراح يربت بطرف اصبعه على المائدة ويقول فى مرح :

- أرسين لوبين ضد شرلوك هولمز.. فرنسا ضد انجلترا.. يا للمسكين أنه يشك فى أننى على استعداد للقائه .

وأمسك فجأة وراح يسعل مخفياً وجهه فى المنشفة كمن ابتلع شيئاً وقف فى حلقه .. فسألته :

- قطعة من الخبز ؟

أجابنى صوت مكتوم :

- كلا .

- ماذا بك إذن ؟

- إننى بحاجة إلى هواء .

- أتريد أن أفتح النافذة ؟

- كلا . أنني سأخرج.. أعطني معطفي وقبعتي .. سألوذ بالفرار .

- آه .. ولكن ، ما معنى هذا ؟

- هل ترى هذين الرجلين اللذين دخلا الآن ؟ الطويل القامة.. عندما نخرج أمش إلى يسارى حتى لايرانى .

- الرجل الذى يجلس خلفك الآن ؟

- نعم .. هو .. أفضل أن أخرج لأسباب شخصية .. سأذكرها لك فى الخارج .

- ولكن ، من هو ؟

- شرلوك هولمز .

وبذل جهداً جباراً لكى يتمالك نفسه ، كما لو أنه خجل لاضطرابه وأعاد المنشفة مكانها وشرب جرعة ماء وقال وهو يبتسم وقد استرد هدوءه تماماً .

- هذا غريب ، أليس كذلك ؟ إننى لا أنفعل بسهولة.. ولكننى فوجئت برؤيته .

- وما الذى تخشاه مادام لن يعرفك أحد من خلال تنكراتك .. أنا نفسى عندما أراك فى كل مرة يبدو لى أننى أمام رجل غريب .

قال أرسين لوبين :

- أما هو فسيعرفنى .. لم يرنى غير مرة ، وقد خيل لى أنه تغلغل فى كيانى بحيث سيعرفنى كلما رآنى رغم تنكرى .. ثم .. ثم إننى لم أكن أتوقع يا للمصادفة الغريبة .. فى هذا المطعم الصغير !

قلت :

- سنخرج إذن ؟

- كلا .. من الخير أن أتصرف بوضوح وبدون أى تردد ، فسوف استفيد من استجوابه ، وأعرف ما يعرفه عنى .. آه .. أشعر أن عينيه تحدقان فى ظهرى وكتفى وأنه يحاول .. أن يتذكر .

وأخذ يفكر.. ورايت ابتسامة خبيثة ترتسم على ركن شفتيه، ثم، كما لو أنه خضع لنزوة طارئة ، نهض فجأة ودار على عقبيه، وانحنى وكله مرح وقال :

- يا للمصادفة السعيدة ! اسمح لى أن أقدم لك أحد أصدقائى .

بدت الحيرة لمجرد لحظة أو لخطتين على الانجليزى ثم تحرك بالغريزة على أهبة أن ينقض على ارسين لوبين .. ولكن هذا الأخير هز رأسه وقال :

- أنك لتخطىء .. ثم أن المحاولة لن تكون جميلة أو مجدية .

نظر الانجليزى يميناً وشمال ، كما لو كان يبحث عن نجدة ، ولكن لوبين قال :

- ولن يجديك هذا أيضاً.. ومهما يكن فهل لك صفة فى إلقاء القبض على .. تمالك أعصابك .

لم يجد الانجليزى أمامه إلا أن يتمالك أعصابه حقاً ، لأنه وقف وقال فى برود :

- مسيو واطسون ، صديقى .. مسيو أرسين لوبين .

أثارت دهشة واطسون الضحك ، فقد جحظت عيناه وفغر فاه وتمتم :

- لماذا لا تلقى القبض عليه ؟

- ألم تلحظ يا واطسون أن هذا السيد يقف بينى وبين الباب ،

وعلى بعد خطوتين منه بالذات ، بحيث لا أكاد اتحرك حتى يكون قد اختفى ؟

قال لوبين :

- لايشغلنك هذا الأمر .

ودار حول المائدة، وجلس بحيث أصبح الانجليزى بينه وبين الباب ، وبذلك غدا تحت رحمته .

نظر واطسون إلى هولمز إن كان يقدر هذه الجرأة، ولكن الانجليزى ظل محتفظاً ببروده ، وصاح بعد لحظة :

- جرسون .. صودا وبيرة وويسكى .

وهكذا حل السلام حتى إشعار آخر.. ولم نلبث أن جلسنا نحن الأربعة حول المائدة ورحنا نتبادل الحديث فى هدوء .

•••

وشرلوك هولمز رجل كغيره من الرجال ، فى الخمسين من العمر ، وأشبه ببورجوازى قضى حياته أمام مكتب يمسك دفاتر الحسابات ولايميزه شىء عن أى رجل انجليزى .. ولكن من يراه يتساءل حقاً أن لم يكن ذلك الرجل الاسطورى الذى يتميز ببصيرة وعبقرية غريبتين وذكاء خارق لم يخرج حياً من مخيلة كونان دويل مثلاً .

وإذ سأله ارسين لوبين على الفور عن المدة التى ينوى قضاءها فى باريس إجابه بقوله :

- هذا أمر رهن بك أنت يا مسيو لوبين .

صاح الآخر وهو يضحك :

- أوه ، إذا كان الأمر رهنا بى فاننى أرجوك أن تستقل أول باخرة هذه الليلة بالذات .

- الأمر يكون مبكراً جداً الليلة .. ولكن أرجو أن يكون ذلك بعد ثمانية أو عشرة أيام .

- وهل أنت مستعجل إلى هذا الحد ؟

- أننى مشغول حالياً بأعمالى كثيراً ، فهناك حادث سرقة البنك الانجليزى الصينى ، واختطاف الليدى أكلستون .. ولكن هل تظن أن اسبوعاً يكفى يا مسيو لوبين ؟

- بأكثر مما يكفى إذا بذلت جهدك لحل القضية المزدوجة للماسة الزرقاء ثم أنها المدة التى تكفينى لكى اتخذ احتياطاتى إذا اعطتك هذه القضية المزدوجة ميزة على لها خطورتها .

- ذلك أننى أنوى أن أبلغ هذه الميزة فى غضون ثمانية أو عشرة أيام .

- وأن تلقى القبض على فى اليوم الحادى عشر .

- بل فى اليوم العاشر ، فهو أقصي حد .

فكر لوبين لحظة ثم هز رأسه وقال :

- هذا أمر عسير .. جد عسير .

- هو عسير طبعاً ، ولكنه ممكن .. بل هو أكيد .

وقال واطسون كما لو أنه رأى هو نفسه الأحداث الطويلة التى ستقود صديقه إلى النهاية التى أعلن عنها أكيد بالطبع .

وابتسم هولمز وقال :

- وواطسون يعرفنى حق المعرفة ويؤكد لك ذلك ثم استطرد يقول :

- صحيح أنه ليست لدى كل الأوراق التى تضمن لى النجاح حيث أن القضية قدم مر عليها شهور طويلة، وحيث أننى افتقر إلى

العناصر والأدلة التى أعتدت أن أبنى عليها أبحاثى .

وقال واطسون فى اهتمام :

ـ كآثار الأقدام وبصمات الأصابع وأعقاب السجائر .

ـ ولكن لدى ، فيما عدا النتائج الرائعة التى توصل إليها مسيو جانيمار كل المقالات التى نشرتها الصحف فى هذا الصدد والملاحظات التى أبديت وآراء شخصية عن القضية .

وأردف واطسون :

ـ وهى آراء توصلنا إليها سواء بالتحليل أو بالتفكير .

سأل لوبين بتلك اللهجة التى يشوبها الاحترام عندما يخاطب بها الانجليزى الشهير :

ـ هل يكون فضولاً منى إذا سألتك عن الرأى العام الذى كونته لنفسك فى هذه القضية ؟

حشا هولمز غليونه فى بطء وأشعله ، ثم أجابه فى احترام :

ـأننى اعتقد أن هذه القضية ليست معقدة جداً كما يبدو من أول وهلة .

وقال واطسون

:ـ نعم .. غير معقدة تماماً .

واردف هولمز :

ـ أتولى قضية لأنه ليس هناك غير قضية واحدة ، فان موت البارون دوتريك وقصة الخاتم ، ولاتنس لغز الورقة رقم ٥١٤ من المجموعة رقم ٢٣ ما هى إلا أوجه مختلفة لما يمكن أن نسميها بلغز الغادة الشقراء .. وأرى أنه يكفى أن نكتشف الرابطة التى تجمع بين

هذه الحلقات الثلاث التى تدور عليها نفس القصة.. وجانيمار رجل سطحى بعض الشيء يرى هذه الرابطة فى القدرة على الاختفاء وفى الدخول والخروج عبر الجدران .. أنا أنا فلاترضينى هذه المعجزة .

- وإذن ؟

قال هولمز فى بطء :

أرى أن لك فى أحداث هذه المغامرات الثلاث غرضا واضحاً ومحدداً وأن لم يكن ظاهراً حتى الآن ، وهو أن تصل بهذه القضية إلى المكان الذى أخترته أنت بنفسك ، فان لك أكثر من خطة ، بل ضرورة ، وشرط مؤكد للنجاح .

- هل يمكن أن تدخل فى بعض التفاصيل ؟

- بكل سرور.. فمنذ بداية خصومتك مع الأستاذ جربوا، كان من الواضح أن مكتب الاستاذ دتنيان هو المكان الذى اخترته أنت للإجتماع ، فقد كنت مطمئناً كل الأطمئنان من ذلك المكان بحيث تواعدت فيه أنت والغادة الشقراء على لقاء الاستاذ جربوا.. ولنتكلم الآن عن الماسة الزرقاء هل حاولت الحصول عليها وهى فى حوزة البارون دوتريك ؟ كلا .. ولكن البارون انتقل إلى قصر أخيه ، وبعد ستة شهور تدخلت انطوانيت بريها وقامت بأول محاولة ، وضاعت منك الماسة ، وأقيم المزاد وأحيط بهالة كبيرة من الدعاية والإعلان.. فهل سيكون المزاد حراً ؟ وهل سيتمكن الأمريكى الثرى ، هاوى جمع التحف من الحصول عليها ؟ أبداً.. ففى اللحظة التى أوشك فيها البارون هيرشمون الحصول عليها أرسلت إليه سيدة رسالة تهديد.. وإذا بمدام كروزون تشترى الماسة بإيعاز من نفس تلك السيدة ، فهل ستختفى الماسة عندئذ بسهولة ؟ كلا، فأنت مازالت تفتقر إلى الوسائل، وكان لابد من إيجاد حل .. ولكن انتقلت الكونتس إلى

قصرها، وكنت أنت تنتظر هذه الفرصة ، فأختطفت الماسة .

قال لوبين :

- ولكنها ظهرت بعد ذلك فى حوزة القنصل النمسوى .

صاح هولمز وهو يهوى بقبضته على المائدة :

- كلام فارغ .هذا حديث خرافة لاينطلى إلا على المغفلين والأغبياء ، فان الماسة الزرقاء التى اكتشفت فى متاع القنصل النمسوى ماسة مقلدة . أما الماسة الحقيقية فقد احتفظت أنت بها .

بقى أرسين لوبين صــامــتــا لحظة ثم حــدق فى الانجليــزى بكل بساطة .

وقال له :

- أنت خصم مخيف يا سيدى .

- يكفى أن يعرف الانسان كيف يفكر .

- نعم .. يكفى أن يفكر الانســان .. والذين يعــرفــون قليلون .. والآن ، وقد ضاق مجال التخمينات ووضح الطريق .

- لم يبق أمامى الآن إلا اكتشاف كيف انتهت المغامرات الثلاث إلى رقم ٢٥ بشــارع كــلا بيرون ورقـم ١٣٤بشــارع هـنرى مـارتـان ٢وبين جدران قـصر كروزون .. القضـية كلـها فـى هذه النقطة .. أمـا البـاقى فما هو إلا هذر والغاز أطفال .. أليس هذا رأيك ؟

- هو ذلك .

- هل أنا مــخطىء إذا يا مـســيـو لوبـين إذا قلت أننى سـأفـرغ من مهمتى فى خلال عشرة أيام .

- كلا .. ستعرف كل الحقيقة فى خلال عشرة يام .

ـ وسألقى عليك القبض .

ـ كلا .

ـ كلا ؟

ـ لكى تلقى على القبض فلابد من ظروف وملابسات عجيبة وسلسلة من المصادفات السيئة والمذهلة، ولكنها أمور بعيدة الاحتمال .

ـ أن ما تعجز عنه الظروف والمصادفات السيئة لاتعجز عنه إرادة الرجل إذا ما أصر على ذلك .

ـ هذا إذا لم تقف ضد هذه الإرادة وهذا الإصرار عقبة لايمكن التغلب عليها .

والنظرة التى تبادلها الرجلان كانت عميقة ، خالية من أى تحد.. كأنها صلصلة سيفين يلتقيان .. وكان ذلك واضحاً وصريحاً.. وصاح لوبين أخيراً :

ـ حسن .. أنت رجل حقاً .. وخصم يحلو لى أن أناضله .

سأله واطسون :

ـ ألست خائفاً ؟

أجابه لوبين وهو ينهض :

ـ أكاد أخاف .. والدليل هو أننى سأمضى لإعداد المقر الذى سأعتزل فيه ، وإلا فاننى أجازف بالوقوع فى المصيدة .

تقول عشرة أيام إذن يا مستر هولمز ؟

ـ عشرة أيام .. اليوم هو الأحد .. وموعدنا الأربعاء بعد القادم .

ـ وسأكون خلف القضبان ؟

ـ دون أى شك .

ـ عجباً .. وأنا الذى أغتبط بحياتى الهادئة بلا مشاكل ، وأعمال صغيرة لابأس بها لمناوشة البوليس دون أن أحفل به ، والاحساس بأن الراحة تحيط بى من كل النواحى يجب أن أغير كل هذا إذن .. بعد الجو الصحو والجميل .. لم يعد هناك مجال للضحك .. وداعاً .

قال واطسون فى تقديره الكبير لهولمز :

ـ اسرع إذن ولاتضيع دقيقة واحدة .

ـ لن أضيع أية دقيقة يا مستر واطسون ، ولكن اسمح لى أن أعبر لك فقط عن مدى سعادتى بهذا اللقاء ، وعن غبطتى لمستر هولمز بأن يكون له مساعد قدير مثلك .

وانحنى لوبين أمامهما فى احترام ، وأمسكنى من ذراعى وجذبنى إلى الشارع ، وقال :

ـ ما رأيك الآن يا عزيزى ؟ هذه وجبة سوف يكون لأحداثها تأثيراً كبيراً فى مذكراتك التى تكتبها عنى .

وتوقف بعد خطوات من المطعم، وأشعل سيجارة بعود من الثقاب، وراح يهزه عدة مرات ثم ؟ ألقى بالسيجارة إلى الرصيف وعبر الشارع وهو يجرى ، وانضم إلى رجلين برزا من الظلام ، كما لو كانا يردان على إشارة ما .. وتحدث معهما بضع دقائق ثم عاد إلى وقال :

ـ أرجو المعذرة .. فان هذا الشيطان هولمز سيثير العقبات أمامى ، ولكننى أقسم لك أنه لم يفرغ مع لوبين .. آه يا للوغد! سوف أريه أننى خير نذله .. إلى الملتقى .. أن واطسون على حق فلا يجب أن أضيع دقيقة واحدة .

وأسرع بالابتعاد .

وهكذا انتهت تلك السهرة العجيبة أو على الأقل الجزء الذى اشتركت فيه منها، لأنه وقعت خلال الساعات التى تلت أحداثا استطعت أن أجمعها من اعترافات بعض المدعوين الآخرين فى ذلك العشاء .

●●●

فى نفس اللحظة التي غادره فيها أرسين لوبين أخرج هولمز ساعته ونهض بدوره وهو يقول :

ـ التاسعة إلا عشرين دقيقة .. أن موعدى مع الكونت والكونتس فى المحطة الساعة التاسعة .. لاتدر رأسك يا واطسون .. فلعل هناك من يتبعنا .. ولكن خبرنى ، ما سبب وجود لوبين فى المطعم ؟

أجاب واطسون على الفور ودون أى تردد :

ـ لكى يأكل طبعاً .

ـ كلما عملنا معا يا واطسون كلما تحققت من أنك تتقدم .. ولعمرى أنك أصبحت تثير الاهتمام .

وفى الظلام ، اضطرم وجه واطسون من فرط سروره ، فى حين استطرد هولمز : حسنا.. لكى يأكل ، ولكى يتأكد من أننى سأذهب إلى كروزون كما أعلن جانيمار فى حديثه الصحفى .. وسأذهب إذن لكى لا أخيب ظنه. ولكن ، بما أنه لايجب إضاعة الوقت مثله فلن أذهب، أما أنت ، فاسلك يا صديقى هذا الشارع واستقل مركبة ثم أخرى فثالثة، ثم عد بعد ذلك وخذ حقائبنا التى تركناها فى الأمانات ، وأسرع بعد ذلك إلى فندق الاليزيه، وأحجز غرفة ونم ملء جفنيك، وانتظر تعليماتى .

●●●

مـضـى واطـسـون وهـو مزهـو بالدور المهم الذى اسنداليـه ، فى حين أخذ شرلوك هولمز تذكرته ومضى إلى سريع أميان حيث جلس الكونت والكونتس واكتفى بأن حياهما ثم أشعل غليونه من جديد وراح يدخن فى هدوء وهو واقف فى الطرقة .

وبعد أن أنطلق القطار بعشـر دقـائق تقدم وجلس بجوار الكونت وقال :

ـ هل معك خاتمك يا سيدتى ؟

ـ نعم .

ـ تكرمى وأعيريه إلى .

وأخذ الخاتم وفحصه ثم قال :

ـ هذا ما ظننت .. أن الماسة مجددة .

ـ مجددة ؟

ـ هى طريقة جديدة قوامها صـهر غبار الماس تحت نار عاليه جداً حتى يذوب ، ثم يصب من جديد فى ماسة واحدة .

ـ ماذا تقول ؟ .. ولكن ماستى حقيقية .

ـ ماستك حقيقية فعلا .. ولكن هذه الماسة ليست ماستك .

ـ وأين ماستى إذن ؟

ـ بين يدى ارسين لوبين .. أما هذه فقد استبدلت بها ودست فى مسحوق أسنان القنصل النمسوى .

ـ هى مقلدة إذن ؟

ـ تماماً يا سيدتى .

صعقت الكونتس ، وبدا عليها الذهول .. وانتهت بأن غمغمت :

ـ أهذا ممكن ؟ ولكن لماذا لم يكتف بسرقتها.. وكيف استولى عليها ؟

ـ هذا ما سأحاول الكشف عنه بالذات .

ـ في قصر كروزون ؟

ـ كلا .. أنني سأهبط في المحطة التالية وسأعود إلى باريس ، فهناك يجب أن تدورالمعركة بيني وبين ارسين لوبين .. والمعركة يمكن أن تدور في أي مكان .. ولكن من الأوفق أن يعتقد لوبين أنني أقوم برحلة .

ـ ولكن .

ـ لايشغلنك الأمر ياسيدتي .. المهم هو أن تعود ماستك إليك. ولك أن تطمئني ، فقد قطعت على نفسي عهداً منذ قليل ووعدت موعداً من العسير الوفاء به ، ولكنني أقسم لك أنني سأعيد إليك ماستك الحقيقية وأبطأ القطار في هذه اللحظة ، فدس الماسة المزيفة في جيبه وفتح الباب فصاح الكونت : ولكنك تهبط بين القضبان .

ـ إذا كان لوبين يراقبني ، فسيفقد أثري بهذه الطريقة .

وبعد خمسين دقيقة ، ركب قطاراً عاد به إلى باريس عند منتصف الليل ، واجتاز المحطة ركضا ودخل البوفيه ، وخرج من باب آخر وأسرع إلى مركبة وقال لسائقها : امض بي إلى شارع كلا بيرون .

وإذ تأكد من أن أحدا لايتبعه أوقف العربة في أول الشارع وقام بفحص دقيق لبيت الاستاذ دتنيان والبيتين المجاورين له .. وبخطوات متساوية قاس بعض المسافات ، ودون بعض الملاحظات والأرقام في مذكرته .. ثم عاد إلى العربة وقال للسائق :

ـ والآن امض بي إلى شارع هنري مارتان .. وعند ناصية شارع

لابومب نقد السائق أجره ثم مشى على الرصيف حتى رقم ١٣٤، وقام بنفس الاجراءات أمام قصر البارون دوتريك والبيتين المجاورين له .. وقاس عرض الواجهات والحدائق الصغيرة .

وكان الشارع مقفراً ومظلماً جداً بصفوفه من الأشجار التى يقوم بينها من مسافة لأخرى فانوس لايكاد يبدد ظلمة المكان .. وكان أحد هذه الفوانيس يعكس نورا باهتاً على جزء من القصر ، ورأى هولمز لافتة تحمل كلمة " للايجار" معلقة على الباب فقال يحدث نفسه :

- هذا صحيح.. فمنذ موت البارون لم يسكنه أحد.. آه .. لو أستطيع أن ألقى نظرة بداخله ! وما أن واتته هذه الفكرة حتى بدأ بتنفيذها .. كان ارتفاع الباب يجعل من المستحيل تسلقه فأخرج من جيبه مصباحاً كهربياً و"طفاشة " لايتخلى عنها أبداً.. ورأى لدهشته أن أحد مصراعى الباب موارب ، فتسلل إلى الحديقة وهو يحرص على أن لايقفل الباب خلفه.. ولكنه لم يتقدم ثلاث خطوات حتى توقف ، فقد سطع ضوء فى إحدى نوافذ الطابق الثانى .

وانتقل النور إلى النافذة الثانية ثم إلى الثالثة.. ولم يتمكن من رؤية شيء أكثر من خيال يمر على جدران الغرف.. وهبط النور من الطابق الثانى إلى الأول وراح ينتقل من غرفة إلى أخرى .. وتساءل هولمز قائلا :

- من ذلك الذى يتجول فى الساعة الواحدة صباحاً ، فى البيت الذى قتل فيه البارون دوتريك .

لم يكن هناك غير وسيلة واحدة لمعرفة ذلك ، وهى أن يدخل البيت بدوره ولم يتردد.. ولكنه عندما بلغ البسطة وقع عليه نور الفانوس ، ولاريب أن الرجل رآه لأن الضوء انطفأ ، ولم يره هولمز من جديد .

ودفع الباب فوجده موارباً هو الاخر، وإذا لم يسمع أية حركة

جازف فى الظلام ، ووجد سور الداربزين ، وصعد طابقاً ، فى جوف الصمت والظلام .

وإذ بلغ البسطة دخل غرفة واقترب من النافذة التى رسمها شيئاً ما ضوء الليل .. وعندئذ رأى فى الخارج رجلا لاريب أنه هبط سلما آخر وخرج من باب آخر، وراح ينتقل فى حذر، شمالا، بين الأشجار، فقال فى نفسه : سحقاً ! أنه سيفلت منى .

وهبط الطابق مسرعاً، يريد أن يعترض طريق الرجل، ولكنه لم ير أحدا وكان لابد له من بضع ثوان لكى يلمح خلف الأشجار شبح رجل .

فقال : أبرع منه إنه ليس لوبين على كل حال .. فان لوبين واحد من رجاله .

ومرت دقائق طويلة وهولمز لايتحرك، وعينه محدقة فى الخصم الذى يراقبه.. ولكن إذ لم يتحرك ذلك الخصم، ولما كان هولمز لايحب البقاء ساكناً فقد تحقق من فاعلية مسدسه، وأخرج خنجره من غمده .

وصدرت حركة أدرك منها هولمز أن الرجل يعمر مسدسه فأنقض عليه فجأة .. ودار بين الرجلين عراك عنيف كان الرجل يحاول اثناءه إخراج خنجره هو الآخر.. واغتاظ هولمز ، وجمع كل قواه للتغلب على شريك أرسين لوبين وطرحه أرضاً وجثم فوقه بكل قوته .. وشل حركته بأصابعه الخمسة بأن غرزها فى عنق الرجل ، وبأصابع يده الأخرى أخرج مصباحه الكهربى وسلط نوره على وجه أسيره .. ولكنه ما أن رآه حتى صاح مذعوراً .

ـ واطسون !

وتمتم صوت مكتوم أجش : شرلوك هولمز !

بقيا لحظة طويلة جامدين لاينطقان بكلمة وقد تفرغ ذهنهما .. وأعادهما إلى عالم الواقع بوق سيارة .. فأطلق هولمز صديقه وقد اجتاحه غضب شديد، ثم أمسكه من كتفيه وراح يهزه فى عنف ويقول، ماذا تفعل هنا ؟ تكلم .. هل قلت لك أن تختفى خلف الأشجار وتتجسس على ؟

تأوه واطسون وقال :

ـ أتجسس عليك ؟ ولكننى لم أكن أعرف أنه أنت .

ـ ماذا تفعل هنا إذن ؟ كان يجب أن تغط الآن فى النوم .

ـ كنت نائماً ولكن جاءنى رسول فى الفندق برسالتك .

ـ رسالتى ؟ هل أنت مجنون ؟ وأين هذه الرسالة ؟ ناوله صديقه ورقة قرأ فيها على ضوء مصباحه الكهربى الكلمات التالية :

" اترك فراشك حالاً يا واطسون واسرع إلى شارع هنرى مارتان .. إن البيت شاغر فادخل وافحص المكان ، وارسم لى رسماً دقيقاً ثم عد لكى تنام .. شرلوك هولمز " .

وقال واطسون : كنت منهمكاً فى أخذ مقاسات الغرف عندما رأيت شخصاً يتحرك فى الحديقة ، وخطر لى ..

قال هولمز وهو يساعد صديقه على النهوض :

ـ أن تنقضّ على ذلك الشخص .. كانت الفكرة رائعة ، ولكن عندما تتلقى رسالة فتأكد أولاً أنها بخط يدى وأنها ليست مزورة .

قال واطسون وقد بدأ يرى الحقيقة : هى ليست منك إذن ؟

ـ كلا للأسف .

ـ ممن إذن ؟

ـ من ارسين لوبين .

ـ ولكن لأى غرض كتبها ؟

ـ اما هذا فلا أدرى . وهذا ما يقلقنى بالذات .. ولماذا أرسلها إليك أنت ولم يرسلها إلى .

ـ أريد العودة الان إلى الفندق .

ـ وأنا أيضاً يا واطسون .

وبلغا البوابة .. وكان واطسون فى المقدمة .. وحاول أن يفتحها ولكنها ..استعصت عليه فقال :

ـ آه .. هل أغلقت الباب ؟

ـ ابداً .. أننى تركته مواربا باكما كان .

ـ ومع ذلك ..

وجذب شرلوك هولمز الباب بدوره فاستعصى عليه هو الآخر ، وصاح :

يا للشيطان ! أنه مقفل بالمفتاح .

وراح يهز الباب بكل قوته .. وإذ أدرك أخيراً عدم جدوى محاولته ترك ذراعيه يتراخيان إلى جنبيه وقال فى صوت متقطع :

ـ أننى أفهم كل شىء الآن .. أنه هو .. لقد توقع أننى سأهبط من القطار فى إحدى المحطات وأعود إلى باريس فنصب لى هذا الفخ الصغير، إذا ما بدأت تحقيقاتى الليلة بالذات .. ثم أنه كان من الكرم بحيث أرسل إلى زميلا ، وكل ذلك لكى يضيع على يوماً، ولكى يثبت لى دون شك أن من الخير لى أن أهتم بشئونى .

ـ معنى هذا أننا أسيران هنا ؟

ـ هو ذلك .. شرلوك هولمز وواطسون أسيران عند أرسين لوبين أن المعركة تبدأ بطريقة رائعة ، ولكن لا .. أننى لا أقبل هذا .

وألقى واطسون يده فى هذه اللحظة .. على كتفه وقال :

ـ أنظر .. فوق نور .

كانت إحدى نوافذ الطابق الأول مضاءة فعلا .

وأنطلقا ركضاً ، كل من ناحيته .. كانت تشتعل فى الغرفة بقية من شمعة وبجوارها سلة بها زجاجة من النبيذ وبعض شرائح من لحم الدجاج وبعض الخبز ، وتمتم واطسون :

ـ ألا تجد الأمر غريباً جداً ؟

صاح هولمز فى مرح غير طبيعى : بل أجده كذلك حقاً .. أعنى أننى لم أر فى حياتى أغرب من هذا .. أنه لأمر مضحك .. أن هذا الأرسين لوبين استاذ في فن الدعابة .. أنه يخدعك ولكن بطريقة ظريفة جداً .. لن أتخلى عن مكانى فى هذه الوليمة مقابل ذهب الدنيا .. أنك تثير ضجرى يا صديقى العزيز .. أتراني أسأت الظن بك ، أولاً تكون على كرم من الأخلاق لكى تتغلب على هذه المحنة ؟ مم تشكو ؟ كان يمكن أن يكون خنجرى فى صدرك فى هذه الساعة أو أن يكون خنجرك أنت فى صدرى لأن ذلك ماكنت تحاول أن تفعل أيها الصديق الشرير .

وأفلح بدعاباته وتهكماته فى إنعاش ذلك المسكين واطسون ، وأن يحمله على أن يزدرد فخذة دجاجة وكأس من النبيذ.. ولكن عندما ذوت الشمعة واضطرا إلى التمدد للنوم على الأرض ، واستخدام الجدار كوسادة ، بدالهما الجانب المضحك والمؤلم من الموقف .. وكان نومهما حزيناً .

وفى الصباح .. استيقظ واطسون متعباً، ويكاد يتجمد من البرد .. ولفت إهتمامه حركة صغيرة ، ورأى هولمز جاثيا على ركبتيه ، يفحص بعدسة مكبرة بعض ذرات التراب ويتحقق من علامات بالطباشير تكاد أن تمحى ، عبارة عن أرقام ، وراح يدون تلك الأرقام فى نوتته .

وفحص هولمز كل غرفة ، ووجد فى غرفتين أخريين نفس العلامات بالطباشير ، ودائرتين فوق لوحين من الخشب وسهماً يشير إلى السقف ، وأربعة أرقام فوق أربع درجات من السلم .. وسأله واطسون بعد ساعة : الأرقام صحيحة .. أليس كذلك ؟

قال هولمز ، وكانت هذه الأرقام قد غيرت طبعه :

- لا أدرى إن كانت صحيحة ، ولكنها تدل على شيء على كل حال .

قال واطسون :

شيء واضح تماماً .. أنها تمثل عدد الألواح الخشبية بأرضيات الغرف . أما الدائرتان فتشيران إلى أن اللوحين مجوفين ، والسهم يشير إلى المصعد الخاص بنقل أطباق الطعام .

نظر هولمز إليه مفتوناً وقال : ولكن ، كيف عرفت كل هذا يا صديقى العزيز ؟ أن ذكاءك يجعلنى أشعر بالخجل .

انتفخ واطسون من فرط السرور وقال :

- أوه .. أن الأمر فى غاية البساطة ، فأنا الذى رسمت هذه العلامات أمس طبقاً لتعليماتك ، أو بالحرى تنفيذاً لتعليمات أرسين لوبين ، ما دامت الرسالة التى تلقيتها مرسلة منه هو .

ولعل واطسون لم يعرف أنه تعرض فى تلك اللحظة إلى خطر أشد من الخطر الذى تعرض له فى عراكه مع هولمز، فقد استبدت بهذا

الأخير رغبة عنيفة في أن ينقض عليه ويخنقه .. ولكنه تمالك نفسه ورسم على وجهة تكشيرة أرادها أن تكون ابتسامة وقال :

- حسن .. حسن .. هذا عمل رائع يفيدنا كثيراً .. ولا يبقى أمامنا الآن الا أن نغادر البيت .

- نغادر البيت .. وكيف ؟

- بالطريقة العادية التى يتبعها أشراف الناس .. من الباب .

- ولكنه مغلق .

- سوف يفتحونه لنا .

- من ؟

- أرجو أن تتكرم وتنادى الشرطيين اللذين يمشيان على الرصيف

- ولكن هذا أمر مهين .. فماذا يقولون عندما يعلمون أن شرلوك هولمز وأنا ، مساعدك واطسون قد سجننا أرسين لوبين .

- وماذا تريد يا عزيزى ؟ سيضحكون بملء أفواههم طبعاً . ولكن لايمكننا أن نطيل إقامتنا هنا على كل حال .

- إلا تحاول شيئاً ؟

- لا شىء .

- ومع ذلك فان الرجل الذى جاءنا بسلة الطعام لم يعبر الحديقة ، لا فى قدومه ، ولا فى انصرافه .. ومعنى هذا أنه يوجد مخرج آخر . فلنبحث عنه ، وبذلك لانحتاج لمساعدة الشرطة .

- منتهى العقل.. ولكنك تنسى شيئاً واحداً، وهو أن ذلك المنفذ بحث عنه كل بوليس باريس منذ ستة شهور.. وأنا نفسى بينما كنت أنت نائماً.. أننى فحصت البيت من عاليه إلى أسفله.. آه يا عزيزى

واطسون .. أن ارسين لوبين صيد لم نعتد عليه ، فهو لايترك خلفه أى أثر .

•••

أطلق سراح شرلوك هولمز وواطسون فى الساعة الحادية عشرة واقتيدا إلى أقرب مخفر للبوليس .. وبعد أن استجوبهما المأمور بكل قسوة اخلى سبيلهما وهو يتصنع مجاملتهما بطريقة تثير الحنق حقاً ويقول :

- أننى آسف لما جرى لكما، وأخشى أن تأخذا فكرة سيئة عن الضيافة الفرنسية .. يا لهذه الليلة التى قضيتماها، ويا لهذا اللوبين ! أنه يفتقر إلى روح المجاملة حقاً .

واستقلا عربة إلى الفندق .. وعندما طلب واطسون مفتاح غرفته قال له موظف الاستقبال :

- ولكنك تنازلت عنها يا سيدى .

- أنا ؟ ... وكيف حدث هذا ؟

- برسالة منك جاءنا بها صديق لك .

- أى صديق ؟

- الصديق الذى أعطانا رسالتك .. وهذه بطاقتك مرفقة بالرسالة .

أخذ واطسون البطاقة والرسالة .. كانت البطاقة من بطاقاته هو بالذات . والخط الذى بالرساله خطه هو نفسه فتمتم :

- يا إلهى ! .. هذا مقلب آخر حقير .

وأردف فى قلق :

- والمتاع ؟

- تسلمه صديقك .

- آه .. وهل سلمته له ؟

- طبعاً .. فقد قلت لنا ذلك فى رسالتك .

- هذا صحيح .. هذا صحيح .

وغادرا الفندق وسارا على غير هدى فى الشانزليزيه ، فى صمت وبطء . وكانت شمس الربيع الصافية تضيىء الشارع ، والهواء نقياً عليلا وفى الميدان أشعل هولمز غليونه ثم تابع سيره .. وصاح واطسون :

- اننى لا أفهم يا هولمز ؟ أنك شديد الهدوء .. أنه يسخر ويلعب بك كما يلعب القط بالفأر ، ولا تنطق بكلمة .

توقف هولمز وقال : أننى أفكر فى بطاقتك يا واطسون .

- وبعد ؟

- هذا الرجل ، فى توقعه النضال معنا حصل على نموذج من خطى وخطك .. ويحتفظ فى حافظته بإحدى بطاقاتك .. هل تفهم ما فى ذلك من حرص وإرادة حادة وخطة وتدبير ؟

- أى ؟

- أى أنه لمنازلة عدو مسلح بكل هذه الأسلحة وللتغلب عليه ، لابد أن يكون غريمة .. لابد أن يكون أنا .

وأردف يقول :

- ثم أنك ترى يا واطسون لايمكن أن نفوز من أول وهلة .

●●●

فى الساعة الحادية عشرة نشرت جريدة ايكو دى فرانسى فى طبعتها المسائية هذا الخبر :

اطلق مستر تيناردو مأمور مخفر الدائرة السادسة عشرة سراح مسيو شرلوك هولمز ومساعده واطسون اللذين حبسهما ارسين لوبين فى قصر الفقيد البارون دوتريك، وقضيا فيه ليلة ليلاء .

"وقد قدما شكوى ضد (ارسين لوبين لأنه استولى على متاعهما - وقد اكتفى ارسين لوبين هذه المرة بتلقينهما درساً صغيراً ويرجوهما أن لايضطراه إلى اتخاذ تدابير أشد خطورة وقسوة

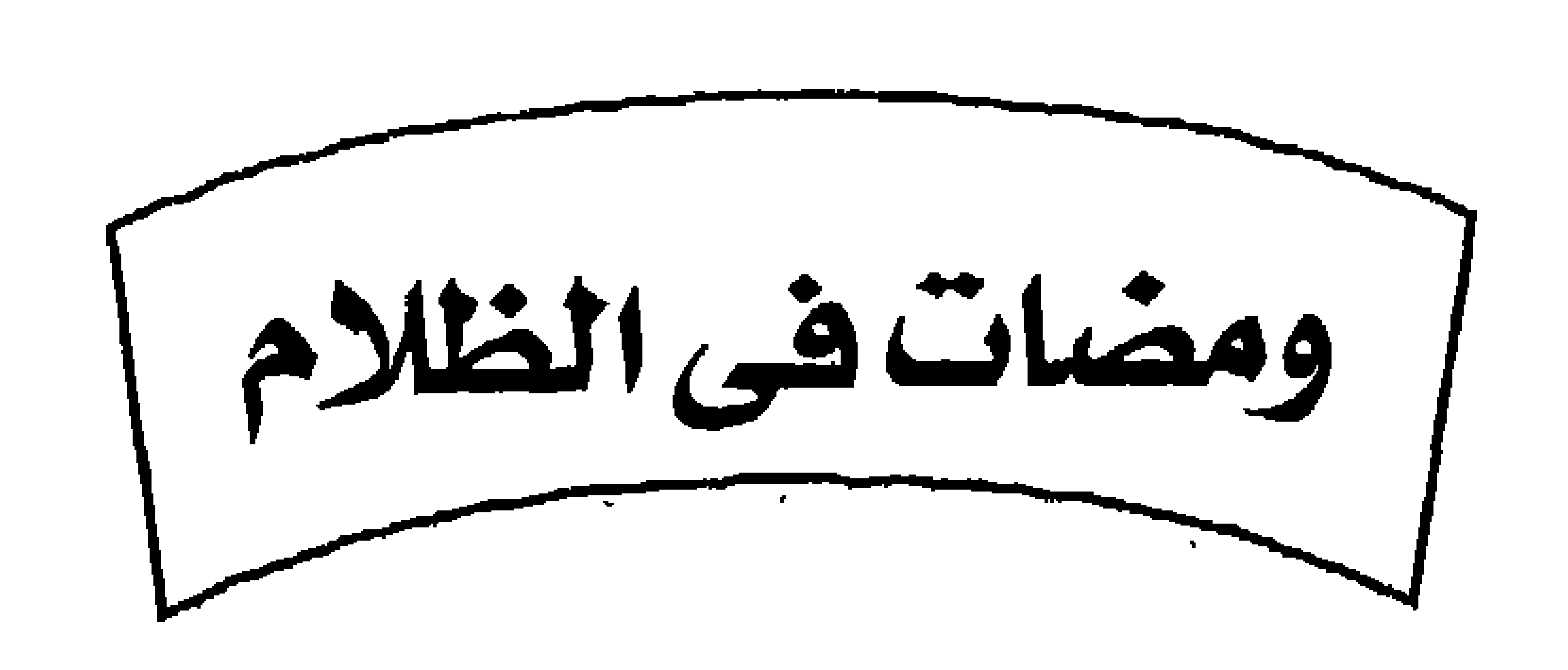
قال شرلوك هولمز وهو يدعك الجريدة :

- أمور صبيانية ! هذا هو اللوم الوحيد الذى أوجهه لأرسين لوبين .. يروق له أن يعرض تصرفاته الصبيانية على الجمهور.. أن هذا الرجل لشجاع حقاً .

- قال واطسون : هكذا الأمر معك دائماً يا هولمز .. نفس الهدوء دائماً .

أجابه هولمز وصوته يغلى بغضب عنيف نفس الهدوء دائماً . ولماذا أثور ؟ أنا على يقين تام بأن الكلمة الأخيرة ستكون لى .





رغم قسوة طباع هولمز وعدم اكتراثه لما قد يتعرض له من محن ونكبات ، فقد أحس فى ذلك الوقت بأنه فى حاجة إلى أن يجمع كل قواه قبل أن يواجه غريمه من جديد .

ـ سأمنح نفسى أجازة اليوم .. أما أنت يا واطسون فعليك بشراء ثياب أخرى غير تلك التى استولى عليها لوبين .

ـ استرح يا هولمز فسوف أقوم بالحراسة .

ـ هو ذلك يا واطسون .. وفى تلك الاثناء سأنتهز الفرصة لكى أعد خطة جديدة ، فاننى أقدر لوبين حق قدره ، ويجب أن نتولى الأمور من بدايتها .

ـ بل من قبل بدايتها إذا أمكن .. ولكن هل يتسع الوقت ؟

ـ أمامنا تسعة أيام يا صديقى ، ومنها خمسة زائدة .

وقضى الانجليزى طوال النهار فى التدخين والنوم . ولم يبدأ نشاطه الا فى صباح اليوم التالى ، إذ قال :

ـ أننى على استعداد يا وطسون .. سنبدأ الان .

تبادل هولمز مع الاستاذ دتنيان ثلاثة أحاديث طويلة ، وكان قد قام بفحص مسكنه قبل ذلك فحصاً دقيقاً ، ومع سوزان جربوا ، وكان قد اتصل بها تلغرافياً واستفسر منها عن السيدة الشقراء ، ومع الأخت

أوجست وعندما فرغ من كل ذلك قال لواطسون :

ـ كنت على يقين من أننا نتبع الأثر الصحيح .

وزارا البيتين المجاورين لبيت شارع هنرى مارتن ، ثم مضيا إلى شارع كلا بيرون . وقال هولمز وهو يفحص واجهة البيت رقم ٢٥ .

ـ واضح أن هناك ممرات سرية بين كل هذه البيوت ، ولكن الأمر الذى لا أفهمه .. لأن المرء وهو يعمل مع هذا الشيطان لوبين إنما يعمل في فراغ وكيفما اتفق ، وبدلاً من أن يستخرج الحقيقة من الواقع بالذات لابد له أن يستخرجها من ذهنه لكى يتحقق فيما بعد أنها تتطابق مع الأحداث .

ـ ومع ذلك فان الممرات السرية .

ـ وبعد .. أننى حتى إذا عرفتها، وعرفت الممر الذى استخدمه لوبين لدخوله عند الاستاذ ، أو ذلك الذى استخدمته الغادة الشقراء بعد مقتل البارون دوتريك ، فما الذى استفيده ؟ هل يزودنى ذلك بأسلحة تمكننى من منازلته ؟

ولم يكد يفرغ من كلماته هذه حتى ارتد إلى الوراء مسرعاً وهو يصرخ ، فقد وقع عند أقدامهما كيس مملوء إلى النصف بالرمل ، كان يمكن أن يصيبهما إصابة خطيرة .

ورفع هولمز عينيه فرأى فوقهما عمالاً يشتغلون فوق سقالة معلقة بشرفة الطابق الخامس فقال :

ـ أننا محظوظان حقاً ، فقد نجونا من الموت بأعجوبة .

وأمسك ، ثم أسرع إلى البيت وصعد السلم واقتحم المسكن مسبباً ذعر الخادم ، ومضى إلى الشرفة . لم يكن هناك أحد وسأل الخادم قائلا : اين العمال الذين كانوا هنا ؟

- أنهما انصرفا لتوهما .

- من أين ؟

- من سلم الخدم .

انحنى هولمز ، ورأى رجلين يخرجان من البيت وفي يد كل منهما دراجة ، ركبها كل منهما واختفيا .

- هل يعملون فوق هذه السقالة منذ وقت طويل ؟

- هذان ؟ منذ صباح اليوم فقط . لم أرهما قبل ذلك .

ولحق هولمز بواطسون وعاداً إلى البيت وهما مكتئبان وانتهى اليوم الثانى فى صمت مطبق .

نفس البرنامج فى صباح اليوم التالى جلسا فوق دكة فى شارع هنرى مارتان . وقال واطسون وقد أضجره البقاء ساكناً أمام البيوت الثلاثة :

- ماذا تتوقع يا هولمز ؟ أن يخرج لوبين من هذه البيوت ؟

- كلا . ولكننى أرجو أن يقع حادث ولو تافه يمكن أن أبدا منه .

- وإذا لم يقع ؟

- سيحدث عندئذ شيء فى ذهنى .. شرارة تنير لى الطريق .

وكان فارس يمتطى جواداً يمر بجواره فى الشارع في هذه اللحظة وعندما اقترب منهما جمح الجواد فجأة واصطدم بالدكة التى يجلس عليها بحيث لمس ردف الجواد كتف هولمز فصاح :

- إيه ... حذار يا هذا .. أوشك جوادك أن يكسر ذراعى .

وكان الراكب يحاول تهدئة جواده .. وأخرج الانجليزى مسدسه

وصويه ولكن واطسون أسرع فأمسك بذراعه وهو يقول :

- هل جننت ياشرلوك ؟ أنك ستقتل الرجل .

- دعني يا واطسون .. دعني .

ودار بينهما عراك استطاع الراكب اثناءه ان يهدئ جواده وينطلق به . وقال واطسون والراكب يبتعد :

- حسناً يمكنك أن تطلق النار الان .

- أيها الغبي .. ألم تفهم أنه شريك لأرسين لوبين ؟

وكان هولز يرتجف من فرط الغضب .. وتمتم واطسون وهو في حالة يرثى لها : ماذا تقول ؟ ذلك السيد .

- شريك للوبين .. كالعاملين اللذين أوقعا كيس الرمل علينا .

- أهذا ممكن ؟

- ممكن أو غير ممكن ، كانت أمامي فرصة للحصول على دليل .

- بأن تقتل الرجل ؟

- بل بأن أقتل الجواد .

ومر النهار كئيباً .. وفي الساعة الخامسة ، كان هولز ومساعده يتسكعان في شارع كلا بيرون ، وهما حريصان على الابتعاد عن المنازل عندما اصطدم بهما ثلاثة رجال يمشون ويغنون وهم متشابكو الأيدي لايريدون الانفصال عن بعضهم البعض . وكان هولز متبرماً. فاعترضهم، وكان هناك عراك قصير.. فاتخذ هولز هيئة الملاكم وهوى بقبضته على صدر أحدهم وبقبضة أخرى على وجه الآخر، وبذلك تغلب على اثنين من الثلاثة الذين لم يطلبوا المزيد وأسرعوا بالفرار .. وصاح :

- آه لقد أصابني ذلك بخير كبير ، فقد كانت أعصابي متوترة جداً ... وأشعر الان بالارتياح .

وإذ رأى واطسـون مـعـتـمـداً على الجدار صاح به : مـاذا بك يا صديقي العزيز .. ولماذا هذا الشحوب ؟

أراه الصديق العزيز ذراعه المدلاة إلى جنبه وقال : لا أدرى .. أني أشعر بالم شديد في ذراعي .

- في ذراعك ؟ هل يؤلمك كثيراً ؟

- نعم ، نعم .. ذراعي الأيمن .

لـم يستطع أن يحركها رغم كل ما بذل من جهد .. وجسها هولمز ، في رفق في البداية ، ثم بقوة وهو يقول : لكي أرى مبلغ الألم . وكان الألم فظيعاً حقاً بحيث أنه أحس بقلق كبير . ودخل صيدلية قريـبة ، وشـعر واطسون بأنه موشك على الاغماء .

وأسـرع الـصـيـدلي ومـسـاعـده إلى العون ، وتحـقـقـاً أن الذراع مكسورة ، وكان لابد من جراح ومن إجراء عملية ، ونضوا عنه ثيابه فراح يصرخ من الألم . وقال هولمز .. وهو يمسك بذراعه :

تشجع ياصديقي. سوف تلتئم ذراعك بعد خمسة أو ستة أسابيع ولكنهم سيدفعون ثمن ذلك غاليا .. هل تسمع ؟ ولاسيما هـو .. لأنه هـو . ذلك اللوبـيـن ، رأس الشـر الـذى فـعـل ذلك .. آه .. أقـسـم لو أنه وقع في يدي .

وأمسك فـجـأة . وتخلى عن ذراع واطسـون ، ومـا كـاد يفعل حتى يصرخ هذا الأخير من فرط الألم وأغمى عليـه .. وضرب هولمز جبينه بكف يده وقال :

- واطسـون ، لقـد واتتنـي فكـرة .. ولكـن هل يمكن أن يكون ذلك ..

طبعاً .. هو ذلك ، ففى هذا تفسير لكل شيء . إن المرء يبحث دائماً بعيداً عما هو قريب منه .. ولعمرى ، كنت أعرف أنه ما على إلا أن أبذل جهدى وأفكر .

أظن أنك ستكون مسروراً ياواطسون .

وترك صديقه . وراح يعدو فى الشارع حتى رقم ٢٢ .

وهناك ، وبجوار الباب ، رأى حجراً منقوشاً عليه هذه الكلمات : المهندس ديتانج ، سنة ١٨٧٥ .

ونفس الكلمات فى رقم ٢٣ .

وكان الأمر طبيعياً جداً حتى الآن . ولكن ماذا سيجد هناك ، فى شارع هنرى مارتن ؟

ومرت به مركبة فاستقلها وطلب من السائق أن يسرع به إلى رقم ١٣٤ . وبقى واقفا فى المركبة . ويحث الجواد ويمنى السائق بحلوان كبير : اسرع . وهناك ، فى رقم ١٣٤ ، فوق حجر بجوار الباب ، كانت نفس الكلمات منقوشة المهندس ديتانج سنة ١٨٧٤ .

وفى العمارتين المجاورتين نفس العبارة : ديتانج ١٨٧٤ .

•••

وكان من جراء الصدف التى أحس بها على أثر هذه الانفعالات أنه تهالك بضع لحظات فى المركبة وهو يرتجف من فرط الفرح . أخيراً لمع وميض فى وسط الظلمات . وها هو قد وصل إلى أول أثر قمين بأن يقوده إلى العدو .

وأسرع إلى التليفون واتصل بقصر كروزون . وردت عليه الكونتس فسألها قائلاً : متى شيد قصر كروزون يا سيدتى ؟

ـ أنه احترق منذ ثلاثين سنة ، وأعيد بناؤه بعد ذلك .

ـ من الذى بناه ، وفى أية سنة ؟

ـ هنـاك لوحـة بالبـاب بهـا هـذه العبـارة :المهنـدس ديتـانـج سـنة ١٨٧٧ .

ـ شكراً يا سيدتى .

وانصـرف وهـو يتمـتم : ديتانـج .. هذا الأسم ليس غريبا على .

ودخل مكتبة عامة ، وقرأ فى دائرة معارف حديثة نبذة عن لوسيان ديتانج دونـها فى مذكرتـه وهذا نصـها : لوسـيان ديتانج مـولود سنة ١٨٤٠، حائز على جائزة روما ووسام جوقة الشرف ، وواضع مؤلفات عديدة فى الهندسة .

وعاد بعد ذلك إلى الصيدلية ، ومنها إلى المستشفى الذى نقل إليها واطسون ، وكان هذا الأخير طريحاً فوق الفراش وذراعه فى جبيرة ، ويرتجف من الحمى ويهذى . وقال له :

ـ انتصـرنا .. انتصـرنا .. لقد وقعت على خيط سوف يقودنى إلى النهايـة . سـأستطيع الآن أن أمـشى على أرض صلبة فيها بصمـات وأدلة . أننى اكتشفت الرابطة الغامضة التى تربط مغامرات السيدة الشقراء بعضـها ببعض ، ولماذا أختار لوبين البيوت الثلاثة التى وقعت بها تلك المغامرات .

ـ ولماذا ؟

ـ لأن هذه البيوت الثلاثة بناهـا نفس المهندس يا واطسـون ستقـول أن من السهل معرفة ذلك . ولكن لم يفكر فيه أحد .

ـ فيما عداك أنت .

ـ فـيمـا عـداى أنا ، فـأنـا أعـرف الآن أن نفس المـهندس اسـتطاع بخطة بارعة أن ينجز ثلاثة أعمال خارقة فى ظاهرها وبسيطة وسهلة

فى الواقع .

- هذا عظيم .

- وهذا لحسن الحظ أيها الصديق العزيز ، فقد كدت أفقد صبرى لأن هذا هو اليوم الرابع .

- ولم يبق غير ستة أيام .

- هذا صحيح . وعلينا أن نستفيد من هذا الدرس ، فقد أخطأنا بمنازلة لوبين على المكشوف ، وأن نتعرض لضرباته . وعلى الآن أن ألعب فى الخفاء وأن أكون حراً فى حركاتى فاننى بذلك أتميز عليه مهما تكن قوته .

- فى مقدور جانيمار أن يساعدك .

- أبداً . فى اليوم الذى أستطيع أن أقول فيه : ارسين لوبين هنا ، وهذا مخبأه ، وأن فى استطاعتى أن أقهره فسأذهب عندئذ إلى جانيمار فى أحد العنوانين اللذين أعطاهما لى ، أما حتى ذلك الوقت فسوف أعمل وحدى .

•••

- هل مسيو ديتانج موجود ؟

صعد الخادم عينيه فى الرجل الذى يقف بالباب . كان قصير القامة أشيب الشعر غير حليق ، جاكتته الطويلة السوداء رثة ولا تنسجم مع جسمه الغريب الهيئة والذى مسخته الطبيعة . وقال فى إزدراء :

- هو موجود أو غير موجود ، حسب الظروف . هل معك بطاقة ؟

لم يكن مع الرجل بطاقة ولكن كان معه خطاب توصية . واضطر الخادم أن يمضى إلى مسيو ديتانج الذى أمر بإدخال الزائر

على الفور .

واقتيد الرجل إلى غرفة كبيرة دائرية الشكل تكسو الكتب جدرانها ، وسأله المهندس : هل أنت مستر ستيكمان ؟

ـ نعم يا سيدى .

ـ يقول لى سكرتيرى أنه مريض ، ويرسلك لاتمام الفهرس العام للكتب الذى بدأه تحت إملائى ، وعلى الأخص الكتب الألمانية ، فهل لك خبرة فى هذا المجال ؟

أجاب ستيكمان فى لهجة ألمانية : نعم يا سيدى . خبرة طويلة .

ـ اتفقنا إذن .

وراح مستر ديتانج يباشر عمله مع سكرتيره الجديد .

وهكذا دخل شرلوك هولمز المكان .

فكلما يفلت البوليس السرى الشهير من مراقبة لوبين ، ويدخل البيت الذى يقيم فيه لوسيان ديتانج مع ابنته كلوتيلد ، اضطر أن يغوص فى المجهول وأن يقوم بخدع وأن يجمع طائفة من الشهادات من أناس مختلفين وأن يختلق لنفسه شخصية وهمية . وكان يعرف أن مسيو ديتانج رجل لا يتمتع بصحة جيدة ، وأنه فى رغبته فى الراحة والاستجمام اعتزل العمل ويعيش الآن بين مجموعات كتبه الهندسية .

أما ابنته كلوتيلد ، فكانت معروفة بغرابة أطوارها ، وتعيش فى عزلة دائمة كأبيها ، ولاتخرج أبداً .

وقال يحدث نفسه وهو يدون فى السجل عناوين الكتب التى يمليها عليه مسيو ديتانج : كل ذلك لايدل على شىء أكيد بعد. ولكنها خطوة إلى الأمام على كل حال . وأنه لمن المستحيل أن لا أكتشف حل إحدى

هـذه المسـائل المثيـرة .. أيكون مسـيـو ديتـانج شـريكـا لأرسـين لوبين ؟ وهل لايزال يراه ؟ وهل هناك أوراق خـاصـة بتلك البيوت الثلاثة ؟ أولا تهدينى تلك الأوراق إلى بيوت أخرى مبنية بنفس الطريقة ويحتفظ بها لوبين لنفسه هو وعصابته ؟

مسـيو ديتـانج شريك لأرسين لوبـين ؟ هذا الرجل المحترم ، الحـائز على وسـام جوق الشرف يعمل مع لص ؟ كـانت النظرية غير مقبـولة . ثم ، على فرض أنه شريك لأرسين لوبين فكيف استطاع أن يتوقع قبل ذلك بثـلاثين سنة هـروب ارسـين لوبين وقـد كـان فى ذلك الوقت لايزال رضيعاً ؟

ومع ذلك فقد أحس الانجليزى أن هناك شيئاً يحـوم حـوله . وكـان ذلك يبدو من نقاط صـغيـرة لم يستطع تحديدها، ولكنه أحس بهـا منذ أن دخل البيت .

وفى صباح اليوم التالى لم يكن قد اكتشف شيئاً بعد. وفى السـاعة الثانية رأى كلوتيلد لأول مـرة . وكـانت قد أقبلت تبـحث عن كـتـاب فى المكتبـة . وكـانت امـرأة فى الثـلاثين من عمـرهـا ، سـمـراء ثقيلة الحـركة وصـامـتـة ، يبـدو على وجـهـهـا أمـارات عدم الاكـتـراث . وتبـادلت بضـع كلمات مـع أبيها ثم انصرفت من غير أن تلقى نظرة إلى هولمز .

ومضـى اليوم رتيبـاً من غيـر أحداث حتى السـاعـة الخـامسـة ، إذ أعلن مسيو ديتانج أنه خارج. وبقى هولمز لحظة فى المقصورة الدائرية الملحقـة بغرفة المكتـبة . وبدأ نور النهـار يخبـو وتأهب للانصـراف هو الآخر عندمـا سـمع طقطقة. وأحس فى نفس الوقت بأن شـخصـاً دخل الغرفـة . ومضـت الدقـائق ، وأجفل فـجـأة ، فقد برز شـبح بجواره فى الشـرفـة . واستغرب هولمز ، فمنذ متى وهذا الشـخص مـوجـود ، ومن أين أتـى .

وهبط الشبح الدرج ومضى نحو دولاب . واختفى هولمز خلف ستار وأخذ يراقبه . ورآه يفتش بين الأوراق فى الدولاب ، نعم يبحث .

وفجأة انفتح البـاب ودخلـت كلوتيلد وهـى تحـدث شـخصاً خلفها :

ـ أنت لم تخرج إذن يا أبـت . مادام الأمر كذلك فسـأضيىء النـور.

•••

أغلق الرجل مصراعى الدولاب واختبأ خلف ستارة النافذة ، فكيف لم تره كلوتيلد ، وكيف لم تسمعه . وأدارت مفتاح النور فى هدوء ثم أفسحت المكان لأبيها ، وجلس كل منهما بجوار الآخر . وفتحت كتابا كانت قد جاءت به معها وراحت تقرأ . وقالت بعد لحظة :

ـ أما زال سكرتيرك هنا .

ـ كلا . أنه انصرف .

وقالت كما لو أنها تجهل مرض السكرتير الحقيقى وقدوم ستيكمان محله :

ـ أو مازلت راضياً عنه ؟

ـ نعم ، نعم .

وراحت رأس مسيو ديتانج تهتز ذات اليمين وذات اليسار ، ثم غلبه النعاس .

ومرت لحظة والفتاة تقرأ . ولكن الرجل أزاح الستارة عن النافذة ، وتسلل بمحاذاة الحائط حتى الباب ، ومر خلف مسيو دتيانج وأمام ابنته بالذات بحيث رآه هولمز تماماً . كان هو أرسين لوبين .

سرت فى بدن الانجليزى رعشه من فرط السرور ، فقد تحقق من صدق نظريته . ودخل فى قلب القضية الغامضة ، ووجد لوبين حيث توقع .

ولم تتحرك كلوتيلد، رغم أنه كان من الواضح أنه لم تفتها حركة واحدة من حركات الرجل . ولمس لوبين أكرة الباب تقريباً وهم بأن يديرها عندما احتك طرف جاكتته بشيء على المنضدة فوقع، واستيقظ مسيو ديتانج مذعوراً ، ولكن أرسين لوبين كان قد أسرع ووقف أمامه ، وقبعته في يده وهو يبتسم . وهتف مسيو ديتانج :

- أأنت هنا يا مكسيم برمون ؟ هذا العزيز برمون .. ما الذى جاء بك ؟

- أردت أن أراك .. وأن أرى الآنسة ديتانج .

- إذن فقد عدت من رحلتك .

- نعم . عدت بالأمس .

- وهل تبقى لتناول العشاء ؟

- كلا . فسوف أتعشى فى المطعم مع بعض الأصدقاء .

- غداً إذن .. الحى عليه يا كلوتيلد لكى يأتى غداً .. شد ما أنا مسرور برؤيتك .. كنت أفكر فيك بالذات هذه الأيام الأخيرة ، فقد كنت أرتب بعض الأوراق القديمة فى هذا الدولاب ، وعثرت على كشف الحساب القديم .

- أى كشف حساب ؟

- كشف حساب شارع هنرى مارتن .

- كيف ذلك ؟ أما زالت تحتفظ بتلك الأوراق القديمة.. ولكن لم تعد لها أية قيمة .

وانتقل الثلاثة إلى غرفة استقبال صغيرة ملحقة بغرفة المكتبة وقال هولمز يحدث نفسه وقد خامره شك مفاجىء : أهو أرسين لوبين ؟

نعم . أنه هو .. هو أرسين لوبين بالتأكيد . ومع ذلك فقد كان رجلا

آخر.. يشبه لوبين فى بعض النقاط ، ويحتفظ مع ذلك بشخصيته وملامحه ونظرته ولون شعره .

وكان لوبين يتكلم فى مرح ويروى لمسيو ديتانج أقاصيص تثير ضحكه ، وكلوتيلد تصغى إليه وعلى شفتيها ابتسامة تفصح عما فى قلبها . وقال هولمز يحدث نفسه : أنهما عاشقان . ولكن أتراها تعرف أن هذا المكسيم درمون هو ارسين لوبين .

وراح يصغى اليهم حتى الساعة السابعة ثم انصرف فى حذر بحيث لم يره أحد .

وفى الخارج ، تحقق هولمز أنه ليست هناك سيارات أجرة ولا مركبات . ولكنه عندما بلغ الشارع الجانبى ، ارتدى معطفه الذى كان يحتفظ به فوق ذراعه وقلب قبعته ووضعها فوق رأسه واعتدل فى وقفته ، وبهذا تغير شكله تماماً . ثم عاد إلى الشارع واختفى فى مكان منه وانتظر .

غادر أرسين لوبين البيت بعد قليل ، وسار فى طريقه إلى وسط باريس ، ومن خلفه شرلوك هولمز .

•••

كاد هولمز يطير فرحاً فقد بدا له كأنه يعيش فى حلم وهو يقتفى خطوات لوبين ، ولكنه لم يلبث أن لفت نظره شىء أثار خوفه ، ففى المسافة التى تفصله عن ارسين لوبين كان هناك ثلاثة أشخاص آخرون يسيرون فى نفس الاتجاه ، وعلى الخصوص رجلان طويلا القامة يلبسان قبعتين مستديرتين ورجلان آخران يسيران فوق الرصيف المقابل . ولعلها كانت مجرد صدفة ولكن الأمر الذى أدهش هولمز هو أن لوبين دخل محلا لبيع السجائر فتوقف الرجال الأربعة على الفور ، ثم استأنفوا السير عندما خرج . وقال يحدث نفسه :

ـ اللعنة . إذن فهناك من يتبعه .. هل يعلم جانيمار أكثر مما صرح به .. أتراه يهز أبى ؟!

وود أن يعترض أحد الرجال الأربعة وأن يتشاور معه . ولكنهم كانوا قد اقتربوا من الميدان ، حيث المكان أكثر ازدحاماً ، وخشى أن يفقد أثر لوبين وانعطف إلى شارع جانبى حيث رأى لوبين يصعد الدرجات الأمامية للمطعم الهنغارى بناصية شارع هلدر . وكان الباب مفتوحاً فاستطاع أن يراه وهو جالس فوق دكة بالميدان ينضم إلى ثلاثة رجال فى ثياب السهرة وسيدتين انيقتين يجلسون حول مائدة فاخرة عليها فازات مملوءة بالزهور ، ورآهم يستقبلونه جميعاً فى ود وترحاب .

بحث هولز بعينيه عن الرجال الأربعة ، فرآهم مندسين بين بعض الجماعات يستمعون إلى الموسيقى ، فى مقهى مجاور . والغريب أنهم كانوا لايهتمون بارسين لوبين فى الظاهر ، وانما بالناس الذين يحيطون بهم .

ولم يلبث أحدهم أن أخرج سيجارة من جيبه ، واقترب من رجل يرتدى جاكت طويل وقبعة عالية . وقدم الرجل سيجاره المشتعل إلى صاحب السيجارة ولكن خيل إلى هولز بأنهما يتحدثان وأن حديثهما طال أكثر من الوقت اللازم لاشعال السيجارة . وأخيرا مضى الرجل ذو القبعة العالية إلى المطعم وتقدم إلى لوبين وتبادل معه بضع كلمات ثم جلس إلى مائدة مجاورة .. ورأى هولز عندئذ أن ذلك الرجل لم يكن الا فارس شارع هنرى مارتن .

وفهم عندئذ لم يكن أرسين لوبين متبوعا، وانما هؤلاء الرجال الأربعة من أتباعه ، يحرصون على سلامته ويتبعونه اينما يذهب ، على استعداد للدفاع عنه وحمايته .

سرت رعشة فى بدن الانجليزى . هل فى مقدوره والحالة هذه أن يتغلب على لوبين بمفرده وأن يلقى القبض عليه ؟ أنه ما أن يتقدم إليه حتى يهرع اليه الرجال الأربعة ويشلون حركته .. حقا أن لوبين رجل خطير يعرف كيف يدبر شئونه .

انتزع ورقة من مفكرته سطر عليها بضع كلمات ووضعها فى مظروف وقال لصبى فى الخامسة عشرة من عمره ، كان يجلس على الدكة بجواره :

ـ اركب عربة يابني وامض بهذا الخطاب إلى صرافة الحانة السويسرية بمبدان شاتليه .. أسرع .

وأعطاه خمسة فرنكات .. فأسرع الصبى بالاختفاء .

●●●

كان الزحام على أشده بعد ساعة ، ولم يعد هولمز يتبين الرجال الأربعة ولكن اقترب منه شخص ، وسمع صوتا يهمس فى أذنه :

ـ ما الخبر يامستر هولمز ؟

ـ آه .. أهذا أنت ياجانيمار ؟

ـ اننى تسلمت رسالتك فى الحانة السويسرية ، فماذا هناك ؟

ـ ارسين لوبين فى المطعم ... هناك ، إلى اليمين .

ـ ولكن هذا ليس ارسين لوبين .

ـ بل هو .

ـ ولكننى أقول لك .. آه .. ياله من وغد! أنه يشبهه حقا . والآخرون، أهم شركاء له ؟

ـ كلا .. ان الجالسة إلى جواره هى الليدى كليفدن ، أما الأخرى

فهى الدوقة دى كليث ، والجالس أمامه هو سفير اسبانيا فى لندن .

تقدم جانيمار خطوة ، ولكن هولمز أمسك به وهو يقول :

ـ ما هذه الحماقة أنت وحدك .

ـ وهو كذلك .

ـ كلا .. هناك رجال فى الميدان يسهرون على حمايته .. ثم ذلك الرجل داخل المطعم ..

وأنا أيضا ، عندما أمسك بتلابيبه وأقول بصوت مرتفع :

ـ هذا أرسين لوبين ، فسوف يؤازرنى الجميع .

ـ أنت وشأنك .. ولكن حاول أن يعرفك من فى المقهى فى أسرع وقت .

وتسلل هو نفسه خلف كشك لبيع الجرائد ، ولم يفارق بعينيه ارسين لوبين ، وكان منحنيا نحو جارته ويحدثها .

عبر المفتش الشارع وقد دس يديه فى جيببيه كرجل يمشى قدما إلى حيث يشاء ، ولكنه ما كاد يصل إلى الافريز المقابل حتى أسرع وارتقى الدرجات الأمامية وثبا .

دوى صفير.. وارتطم جانيمار برئيس الخدم الذى وقف فجأة بالباب ، واعترض طريقه، وراح يدفعه إلى الخارج محنقا كما لو كان يدفع صعلوكا لايمكن أن يختلف إلى ذلك المكان .. وترنح جانيمار، وفى نفس اللحظة خرج الرجل ذو الجاكت الطويل، وانحاز إلى جانب جانيمار، وراح الاثنان هو ورئيس الخدم، يتنازعان جانيمار بكل عنف، فيحتجزه أحدهما ويدفعه الآخر بحيث ان المسكين ، رغم احتجاجاته الشديدة، وجد نفسه أخيرا عند أسفل الدرجات الأمامية .

وتجمع الناس على الفور ، وأقبل شرطيان ، وقد اثارتهما الضجة

وحاولا تفريق الجمهور، ولكنهما وجدا معارضة شديدة جمدت جهدهما بعض الوقت .. وفجأة كما لو بسحر ساحر، تفرق الناس ، وراح رئيس الخدم يعتذر وتخلى صاحب الجاكت الطويل .. عن مؤازة جانيمار واندفع هذا الأخير إلى المائدة ، حيث يجلس الأشخاص الستة ولكنه لم يجد غير خمسة ، وتلفت حوله . لم يكن هناك من منفذ غير الباب.. وقال يسأل الأشخاص الخمسة المشدوهين :

- أين الرجل الذى كان يجلس على هذا المقعد.. أين الرجل الثالث :

- مسيو دسترو ؟

- كلا ، وانما أرسين لوبين .

واقترب جرسون وقال :

- لقد صعد ذلك السيد إلى الطابق الأول .

اسرع المفتش .. كان بالطابق الأول غرف خاصة وله باب خاص يؤدى إلى الخارج .. فهتف في غيظ : من لى به الآن ؟

•••

ولكنه لم يكن بعيدا وانما على بعد مائتى متر على الأكثر، فى الاوتوبيس المنطلق إلى ميدان المادلينى .. ووقف فى مقدمة الاوتوبيس رجلان راحا يتحدثان فى حين جلس بعيدا ، فى الخلف ، رجل عجوز يبدو أنه يغالب النعاس .. ولم يكن ذلك الرجل العجوز غير شرلوك هولمز ، فما أن سمع الصفارة حتى أسرع إلى الباب الخلفى للمطعم متوقعا ان لوبين قد يهرب منه وقد صح حدسه ، فقد أسرع أرسين لوبين بالخروج منه، بينما كان جانيمار يبحث عنه فى الداخل ، ورجاله يحرسون الباب الخارجى وقال هولمز يحدث نفسه :

ـ لو أن واطسون رآني الآن لكان فخورا بى .

وهبط لوبين فى آخر الخط واقترب من الرجلين وقال :

ـ ميدان الأتوال .. واستقل سيارة أجرة فقال هولمز :

ـ اذن فالموعد فى الآتوال .. فلأتركه يمضى ويكفينى أن أتبع الرجلين .

وسار الرجلان ، حتى ميدان الاتوال ، وطرقا باب البيت رقم ٤٠ بشارع شاجران ، واختبأ شرلوك هولمز فى ركن مظلم وانتظر .

وبعد عشر دقائق أقبل رجل ثالث، ثم آخر بعده على الفور تقريبا ، وأخيرا وقفت مركبة هبط منها أرسين لوبين وسيدة ترتدى معطفاً كثيفا وتضع على وجهها نقابا . . فقال هولمز يحدث نفسه :

ـ السيدة الشقراء دون ريب .

وانتظر لحظة ثم اقترب من البيت وتسلق حافة النافذة ، وألقى نظرة إلى الداخل .. كان أرسين لوبين متكئا على المدفأة ، ويتكلم فى انفعال وكان الآخرون يقفون حوله ، ويصغون اليه فى اهتمام ، وكان بينهم رئيس الخدم بالمطعم .. أما الغادة الشقراء فكانت توليه ظهرها .

وتحرك أحد الرجال فوثب هولمز إلى الأرض ، واختبأ فى جوف الظلام وخرج رجلان ، وأضىء النور على الفور فى الطابق الأول ، وأغلق أحدهم النافذة ، فساد الظلام فى ارجاء البيت كله ، وقال هولمز :

ـ بقى هو وهى فى الطابق الأرضى اما الشريكان الآخران فقد بقيا فوق

وانتظر بعض الوقت وهو لايتحرك ، مخافة ان يخرج أرسين لوبين

أثناء غيابه ، وفى الساعة الرابعة رأى رجلين من رجال الشرطة فى آخر الشارع فأسرع اليهما وأطلعهما على الموقف وأمرهما بمراقبة المكان ثم مضى إلى جانيمار وقال له :

ـ لقد وقع أرسين لوبين فى أيدينا .

وكانت خيوط الليل قد بدأت تتراجع أمام خيوط النهار عندما أتم جانيمار استعداداته .. وطرق الباب العمومى .. وأجابت البوابة وهى مذعورة على اسئلته ، فصاح :

ـ ماذا تقولين ؟ لا أحد يقيم بالطابق الأرضى ؟

ـ كلا .. فان السيدين ليرو قاما بتأثيثه ويخصصانه لأهلهما اذا ما أقبل أحدهم من الريف .

ـ وهل جاء أحد منهم بالأمس ؟

ـ ربما .. كنت نائمة .. ولكننى لا أعتقد ، فالمفتاح معى ولم يطلبه أحد .

ـ أخذ جانيمار المفتاح وفتح الباب .. ولم يكن بالطابق الأرضى غير غرفتين ولم يكن بهما أحد .. وصاح هولمز :

ـ هذا مستحيل .. اننى رأيتهما معا .

وصعدا السلم .. ودق المفتش الجرس .. وفى المرة الثانية ظهر أحد الرجلين وهو بثياب النوم وقال محنقا :

ـ حقا .. ما هذه الضجة . ألايمكن أن ينام أحد فى هدوء :

ولكنه أمسك على الفور وقال فى ارتباك :

ـ عفوا .. اعتقد أننى لا أحلم .. من أرى ؟ مسيو جانيمار! اية خدمة أستطيع أن اؤديها لك ؟

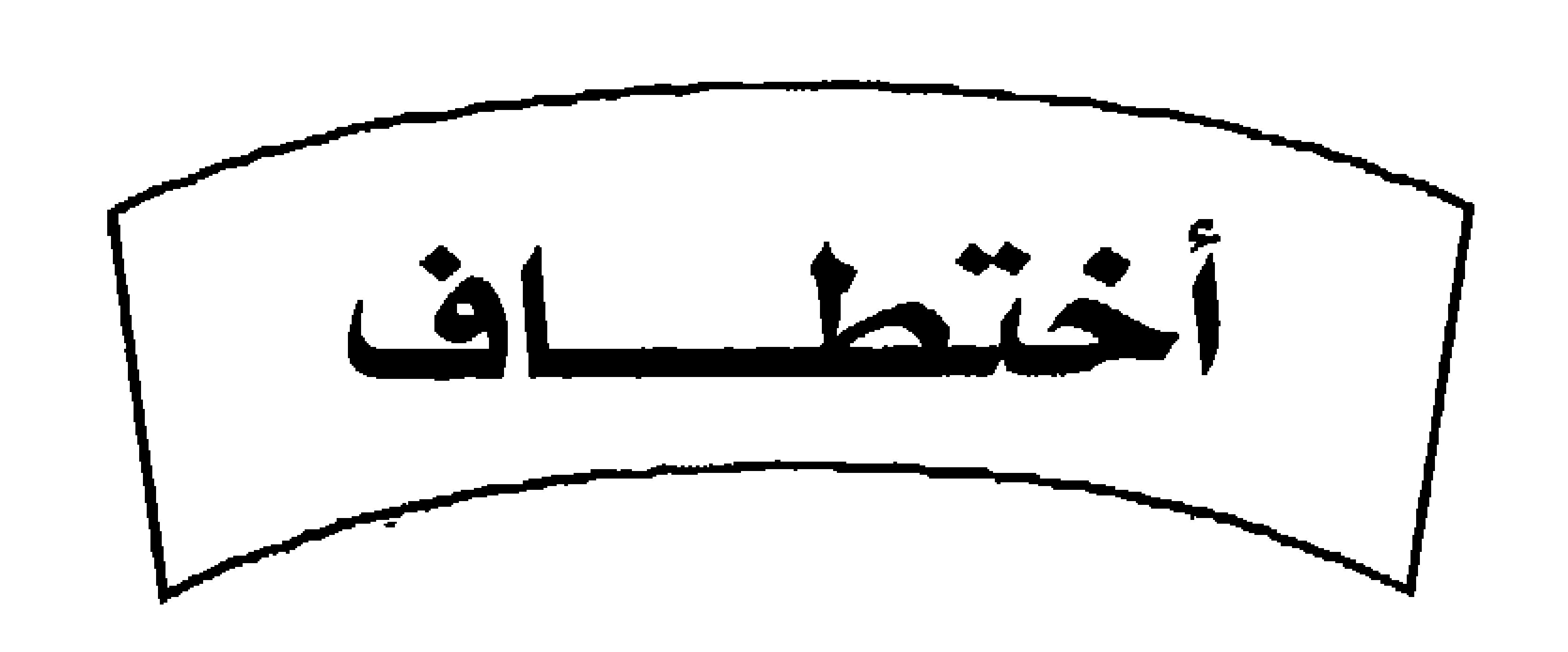
انفجر المفتش ضاحكا وهتف فى استغراب . أهذا أنت ياليرو .. ولكن هذا غريب .. ليرو شريك أرسين لوبين .. آه .. ما أغربها مزحة ... وأخوك ليرو ... أهو موجود ؟

- هل أنت هنا يا ادمون .. ان مسيو جانيمار يسأل عنك .

وظهر رجل آخر ، فراح جانيمار يضحك فى جنون ثم تحول إلى هولمز وقال له :

- اقدم اليك فيكتور ليرو المفتش بادارة الأمن ، وهو من خيرة رجالنا ، وادمون ليرو باشكاتب بادراة تحقيق الشخصية .





تقبل هولمز الأمر بكل برود ، إذ لم يجد فائدة من الاعتراض أو اتهامهما بأنهما من أعوان لوبين لأنه رأى إن فعل فلن يجنى أكثرمن سخرية جانيمار وتهكمه .. فانحنى أمام الاخوين ليرو فى احترام ثم انسحب .

وفى البهو رأى حجرا صغيرا من العقيق ، أحمر اللون بجوار الباب المؤدى إلى البهو فالتقطه .. وفى الخارج قرأ على باب البيت المجاور الرقم ٤٠ نفس العبارة المعهودة « لوسيكان ريتانج . سنة ١٨٧٧ » ورآها فى البيت رقم ٤٤ فأيقن ان بين البيوت الثلاثة ممرا سريا . وقال يحدث نفسه :

- كان يجب أن أبقى مع الشرطيين طوال الليل .

واقترب من الشرطيين وسألهما :

-ألم يخرج شخصان من هذا البيت أثناء الليل ؟

- خرج رجل وامرأة .

أمسك بذراع جانيمار وقال له :

- انك ضحكت علي كثيرا ، وحقدت على لازعاجى اياك .. ولكن مضى على وجودى هنا سبعة أيام ، ومن الضرورى أن اكون فى لندن بعد ثلاثة أيام ، ولهذا أرجوك أن تكون على استعداد مساء يوم الثلاثاء .

ـ على استعداد لأى شيء ؟

ـ للقبض على أرسين لوبين ، واقسم لك بشرفى على ذلك .

ثم حياه وانصرف ، ومضى إلى مطعم صغير مجاور .. وبعد أن أكل وشبع عاد إلى شارع شاجران ، ودس جنيهين فى يد البوابة ، وتأكد ان الأخوين ليرو خرجا ، وأخذ شمعة وهبط إلى القبو من الباب الذى وجد أمامه حجر العقيق الصغير الأحمر .. وفى أسفل السلم وجد حجرا آخر مشابها فقال :

ـ أنا لم أخطىء ..ان الممر السرى بين البيوت الثلاثة يبدأ من هنا .

وعالج الباب بطفاشته ، وما أن دخل حتى رأى آثار أقدام فوق الأرض ، ولم يلبث أن سمع حركة فأسرع وأغلق الباب ، وأطفأ الشمعة واختبأ خلف أحد البراميل .. وبعد بضع لحظات رأى أحد الألواح الحديدية يدور فى رفق كاشفا عن فتحة فى الجدار، انبعث منها ضوء مصباح، وظهر ذراع ثم دخل رجل .. وانحنى الرجل وراح يبحث بيديه فى التراب عن شىء ، ونهض أكثر من مرة وهو يضع شيئا في علبة صغيرة معه .. ثم محا أثر قدميه وآثار أقدام لوبين والسيدة الشقراء .. واقترب من الجدار .

وانبعثت منه صرخه فجأة ، فقد انقض عليه هولمز، وماهى إلا دقيقة حتى رأى الرجل نفسه طريحا فوق الأرض موثق اليدين والقدمين .. وانحنى الانجليزى فوقه وقال :

ـ كم تريد لكى تتكلم ؟

لم يزد الرجل عن أن يبتسم ابتسامة ساخرة أدرك منها هولمز ان لافائدة من استجوابه ، ففتش جيوبه ولم يجد معه غير حلقة مفاتيح ومنديل والعلبة الصغيرة التى وضع فيها أحجار العقيق .. ولم يدر

ماذا يفعل بذلك الرجل.. هل ينتظر أن يأتي أصحابه لنجدته ويسلمهم جميعا للبوليس ؟ ولكن ما الجدوى من ذلك ، وما الذى يستفيده .

وكان لايزال يتردد عندما وقع بصره على عنوان الجوهرى المكتوب على العلبة ليونار، جوهرى بشارع دى لابيه .

وقرر ان يترك الرجل ، فأعاد اللوح الحديدى وأغلق القبو ، وغادر البيت وأرسل برقية إلى مسيو ديتانج يخبره فيها بأنه لن يستطيع القدوم الليلة ، ثم مضى إلى الجوهرى ، وأعطاه أحجار العقيق وهو يقول :

- أعطتنى السيدة هذه الأحجار.. انها انفصلت عن عقد اشترته منك .

ورأى هولمز أنه أصاب بقدومه لأن الرجل قال له: الواقع أن السيدة اتصلت بى ، وستأتى بنفسها بعد قليل .

ولم تأت السيدة إلا بعد الساعة الخامسة.. وكان هولمز واقفا فوق الافريز عندما رأى سيدة تخفى وجهها بنقاب كثيف بدا له مسلكها مريبا .

ومن خلال زجاج المحل رآها تضع على المكتب جوهرة قديمة محلاة بأحجار العقيق .

وخرجت على الفور تقريبا ، وعرجت على بعض المحال ، بشارع كليش وبشوارع أخرى لايعرفها ، وعند هبوط الليل دخل خلفها ، دون أن يحفل بالبواب ، بيتا من خمسة طوابق ودخلت مسكنا بالطابق الثاني ، وبعد دقيقتين ، جرب الانجليزى حظه ، وحاول أن يفتح الباب بأحد المفاتيح التى بالحلقة التى استولى عليها من الرجل .. ودار المفتاح الرابع فى القفل ، وانفتح الباب .

رأى فى الظلام الذى يحوطه غرفا شاغرة تماما، كما لو أن المسكن غير مأهول ، وأبواب الغرف مفتوحة، ولكن انبعث نور مصباح فى آخر الممر، فاقترب ، ورأي من خلال لوح الزجاج الذى يفصل الصالون عن غرفة مجاورة السيدة المقنعة تنفض عنها ثوبها وقبعتها وتلقيهما على المقعد الوحيد الموجود بالغرفة وترتدى روب دى شامبر من القطيفة .

ورآها تدنو من المدفأة وتضغط على زر فتحرك اللوح الذى يمتد على يمين المدفأة ، كاشفا عن فجوة فى الجدار ، مرت فيها السيدة واختفت وبيدها المصباح .. وتبعها هولمز وهو يتحسس طريقه فى الظلام .. ولكن لم تلبث ان لمست وجهه أشياء لينة فأشعل عودا من الثقاب ، ورأي أنه فى دولاب مملوء بثياب معلقة ، فأفسح لنفسه مكانا وتوقف أمام ستارة .وكان عود الثقاب قد انطفأ ورأى النور من خلال قماش الستارة .. وألقى نظرة عندئذ ، فرأى السيدة الشقراء أمامه ، على قاب قوسين منه .. وأطفأت المرأة نور المصباح وأضاءت النور الكهربى ، وعندئذ رآها هولمز تماما . وأجفل على الفور ،فان المرأة التى ظل يبحث عنها واهتدى إليها أخيرا بعد طول عناء ، لم تكن الا كلوتيلد ديتانج .

•••

كلوتيلد ديتانج ، قاتلة البارون دوتريك وسارقة الماسة الزرقاء .. كلوتيلد ديتانج الصديقة الغامضة لارسين لوبين ... السيدة الشقراء أخيرا .

وقال يحدث نفسه :

- نعم ، نعم ، ماأغبانى! لأن صديقة لوبين شقراء وكلوتيلد سمراء لم يخطر ببالى لحظة واحدة انهما امرأة واحدة ، فلم يكن من المعقول

ان تبقى الغادة الشقراء شقراء بعد مقتل البارون وسرقة الماسة .

وانفتح باب خلف كلوتيلد ، ودخل أرسين لوبين .

تبادلا النظر طويلا دون أن ينطقا بكلمة واحدة ، ثم جثا بجوارها وضم رأسها إلى صدره ، وأحاطها بذراعيه في رفق وحنو وعطف .. ولم يتحركا جمع بينهما صمت رقيق ، والدموع تترقق من مآقيهما ، وتمتم لوبين :

- كنت أتمنى أن أجعلك سعيدة .

- ولكننى سعيدة ؟

- كلا ، ما دمت تبكين .. ان دموعك تشجينى ياكلوتيلد .

ارتسمت على وجهها ابتسامة خففت من صرامته ، ولكن الحزن كان لا يزال باديا فتوسل اليها قائلا :

- اطرحى عنك هذا الحزن يا كلوتيلد ..لايجب أن تكونى حزينة .

بسطت اليه يديها الرقيقتين وقالت فى لهجة خطيرة :

- طالما بقيت يداى هاتان سأظل حزينة يامكسيم ، فقد قتلنا رجلا .

صاح مكسيم :

- اسكتى .. اطرحى هذه الأفكار عنك .. لقد مات الماضى وطواه النسيان .

وراح يقبل يديها الطويلتين الشاحبتين .. ونظرت إليه وقد أشرق وجهها، كما لو أن كل قبلة تمحو شيئا من الذكرى . وقالت أخيرا :

يجب أن تبقى على حبى يامكسيم فما من امرأة ستحبك مثلى .. ولكي ارضيك فعلت كل ما فعلت، ومازالت أفعل لا انصياعا لأوامرك وانما طبقا لرغباتك السرية .. اننى ما زلت أقدم على أفعال يأباها

ضميرى، ولكننى لا أستطيع مقاومتها .. كل ما أفعله انما أفعله بطريقة آلية لأن هذا مفيد لك ولأنك تريده.. وأنا على استعداد لأن أبدأ من جديد .. وكل يوم .

وقال فى مرارة :

- آه . لماذا أشركتك فى حياتى الحافلة بالمغامرات ياكلوتيلد ؟ كان يجب أن ابقى بالنسبة لك مكسيم برمون الذى أحببته منذ خمس سنوات وان لا اعرفك بالرجل الآخر الذى يعيش بين جوانحى .

قالت فى صوت خافت :

- ولكننى أحب ذلك الرجل الآخر ، ولست نادمة على شىء .

- بل أنت نادمة على حياتك السابقة .. حياة الطهر والنقاء .

قالت فى وله :

- أنا لا أندم على شىء وأنت هنا معى.. فلا أعرف معنى الاثم ولا معنى الذنب عندما تراك عيناى.. لايهمنى شقائى ولا آلامى ولا بكائى ولاارتياعى من كل ما أفعل ، فان حبك يمحو كل شىء .. اننى راضية بكل شىء ويجب أن تبقى على حبى .

- اننى لا أحبك ياكلوتيلد لأنه يجب أن أفعل وانما احبك بسبب واحد وهو أننى أحبك فعلا.. ولكن حياتى عنيفة ومحمومة ، ولم أستطع ان أكرس وقتى لك كما أريد .

نظرت اليه مرتاعة وقالت :

-ماذا هناك ؟ أخطر جديد ؟ تكلم .

- اوه لاشىء خطير بعد .. ولكن هولمز يتعقبنا، فهو الذى اطلق جانيمار خلفى فى المطعم الهنغارى ، وهو الذى أوقف شرطيين لحراسة شارع شاجران ، ولدى الدليل على ذلك ، وقد فتش جانيمار

البيت صباح اليوم ، وكان هولمز برفقته .. ثم .

- ثم ؟ ماذا أيضا ؟

- أحد رجالى مفقود .. وهو المدعو جانيو .

- البواب ؟

- نعم .

- ولكننى أرسلته هذا الصباح ليجمع لى أحجار العقيق التى وقعت من عقدى .

- لاشك أنه وقع فى قبضة هولمز .

- أبدا، فان الأحجار وصلت إلى الجوهرى بشارع دى لابيه .

- ماذا حدث له اذن ؟

- اوه .. اننى خائفة يامكسيم .

- ليس هناك ما يدعو إلى الخوف .. ولكننى أعترف ان الموقف جد خطير، فما الذى يعرفه هولمز وما الذى لايعرفه .. ان قوته تكمن فى أنه يعمل بمفرده، ولايمكن لشىء أن يخونه ، ولابد لنا من أن نحتاط ياكلوتيلد . كنت قد عزمت منذ وقت طويل على تغيير محل اقامتى ، وان أنتقل هناك فى المخبأ المنيع الذى تعرفينه، ولكن تدخل هولمز جعلنى أتسرع فى اتخاذ القرار.. فعندما يتبع رجل مثله أثرا فانه لايتخلى عنه حتى يصل إلى نهايته ولهذا أعددت كل شىء .. فبعد غد، الأربعاء سيتم نقل كل شىء ، وسأنتهى من كل شىء ظهرا ، واستطيع أن أغادر المكان فى الساعة الثانية .. بعد أن أمحو كل أثر لى، وهذا ليس بالعمل الهين، ومن هنا حتى ذلك الوقت لايجب أن يرى أحدنا الآخر ولايجب أن يراك أحد ياكلوتيلد .. لاتخرجى يا كلوتيلد ، انى لا أخاف على نفسى ، وانما أخاف عليك .

ـ من المستحيل ان يصل هذا الانجليزى إلى .

ـ بل كل شىء ممكن .. وأنا أتوخى الحذر .. فأمس عندما أوشك أبوك ان يفاجئنى ، كنت قد اتيت لتفتيش دولاب الأوراق وسجلات مسيو ديتانج ، فان فيها كل الخطر ، وقلبى يحدثني أن العدو يحوم حولى ويقترب منى ، وأشعر أنه يراقبنا ، وأنه ينصب شباكه حولنا .

ـ اذا كان الأمر كذلك فاذهب يا مكسيم ولاتحفل بى فانى سأكون قوية وانتظر حتى يزول الخطر وداعاً يا مكسيم .

وعانقته طويلا.. وكانت هى التي اقصته عنها، ودفعته إلى الخارج .. وسمع هولمز صوتيهما وهما يبتعدان .. وغادر مخبأه ، واجتاز غرفة رأى فى آخرها سلما هم بأن يهبطه عندما سمع صوت حديث فى الطابق الأرضى ، فارتد ورأى من الحكمة أن يجتاز ممرا دائريا ، ودهش عندما رأى أثاثا مألوفا لديه .. وكان أمامه باب موارب فدخل ، وألقى نفسه فى مكتبة مسيو ديتانج فتمتم :

ـ هذا عظيم .. اننى افهم كل شىء الآن .. فان مخدع كلوتيلد، أى السيدة الشقراء متصل باحدى شقق البيت المجاور، وذلك البيت له بابه الخاص، وهو لايقع فى شارع مالرب وانما فى شارع جانبى وهو شارع مونشانان .. وأفهم الآن ان كلوتيلد كانت تمضى للقاء عشيقها فى حين ان الناس كانوا يعتقدون أنها لاتغادر البيت إطلاقا ، وأنهم كذلك السبب فى ظهور لوبين بجوارى مساء أمس .

وصعد إلى الطرقة واختبأ خلف إحدى الستائر.. وبقى مكانه حتى وقت متأخر من الليل .. وجاء خادم وأطفأ النور الكهربى ، وبعد ساعة أضاء الانجليزى مصباحه ، ومضى نحو الدولاب .

وراح يبحث بين الاوراق والمستندات والسجلات حتى عثر على ملف يتضمن كل ما كان ينشده ، فقد كان يضم خمس عشرة ورقة ،

احداها خاصة ببيت شاجران ، الثانية ببيت شارع كلا بيرو وثالثة ببيت البارون دوتريك ورابعة بقصر كروزون ، واحدى عشرة أخرى تتناول كلها أحد عشر بيتا مختلفة فى انحاء باريس امتدت اليها بعض التعديلات والترميمات .

وفى الساعة الثامنة صباحا أرسل إلى جانيمار الرسالة التالية :

« سأحضر دون ريب هذا الصباح إلى شارع برجوليز، وأعهد إليك بشخص لإلقاء القبض عليه، فالزم بيتك الليلة ، وغدا الاربعاء حتى منتصف النهار ، وتدبر أمرك بحيث يكون تحت يدك ثلاثون رجل »

ثم استقل سيارة راق له سائقها بوجهه المشرق القليل الذكاء ، مضت به إلى شارع مالرب ، قريبا من بيت ديتانج وقال للسائق :

«اوقف محركك وارفع ياقة معطفك لأن الجو بارد .. وانتظرنى .. وتجمل بالصبر . وأدر المحرك بعد ساعة ونصف لكى تمضى بى بمجرد عودتى إلى شارع برجوليز » .

وتردد للمرة الأخيرة وهو يجتاز عتبة البيت .. اليس من الخطأ ان يهتم بالسيدة الشقراء ريثما يفرغ لوبين من الاستعداد للرحيل . وأليس من الأوفق ومعه كشف البيوت أن يبحث عن البيت الذى يختبىء فيه غريمه . ولكنه قال :

ـ مهما يكن ، فعندما تكون الغادة الشقراء أسيرتى فسأكون سيد الموقف .

ودق الجرس .

كان المسيو ديتانج فى المكتبة.. وراحا يعملان لحظة.. وكان هولمز يبحث عن طريقة لكى يصعد إلى غرفة كلوتيلد عندما رآها تدخل وتحيي أباها ثم تمضى إلى الصالون وتبدأ الكتابة ، فأخذ كتابا وقال

لمسيو ديتانج .

- هذا كتاب كانت الآنسة كلوتيلد قد طلبت منى أن أذهب به اليها بمجرد أن أعثر عليه .

ومضى إلى الصالون ، ووقف أمامها بحيث لايراها أبوها وقال :

ـأنا مسيو ستيكمان السكرتير الجديد لمسيو ديتانج .. وأريد أن أتحدث اليك .

قالت :

- آه .. هل غير أبى سكرتيره ؟

- نعم يا آنسة . وأريد أن أتحدث اليك .

- تفضل بالجلوس ، فقد فرغت .

وأضافت بضع كلمات إلى خطابها ثم ختمت المظروف ، وأقصت عنها الأوراق وأدارت قرص التليفون واتصلت بالخياطة ، وطلبت منها أن تسرع بالفراغ من المعطف الذى اوصتها به لأنها بحاجة اليه ، ثم تحولت إلى هولمز وقالت له :

- كلا يا آنسة .. اننى اتكلم فى صوت خافت ، ومن الأوفق أن لا يسمعنا مسيو ديتانج . وسأتحدث دون لف أو دوران .. التقى أبوك بمكسيم برمون منذ خمس سنوات ، وقد تقدم اليه مكسيم على أنه مقاول أو مهندس معمارى ، وأحب مسيو ديتانج ذلك الشاب .. ولما كانت صحته لاتسمح له بالاهتمام بالعمل فقد عهد اليه بتنفيذ بعض الطلبات التى جابهته من العملاء القدامى .

وأمسك هولمز لحظة ، وبداله أن وجه الفتاة امتقع ،ومع ذلك فقد قالت فى هدوء تام : اننى لا أعرف الحقائق التى تتكلم عنها ياسيدى ، ولا ادرى فيم تهمنى أنا بالذات .

- ذلك ان اسـم مكسيـم برمـون الحقيقى هـو أرسين لوبين ياآنسـة ، وأنت تعرفين ذلك خيرا منى .

انفجرت ضاحكة وقالت : هذا مستحيل . أرسين لوبين .. مكسيم برمون هو أرسين لوبين !

- بل أقـول انـه وجـد هنـا صديقة تساعده فى تنفيذمشروعاته ، بل أكثر من صديقة .. شريكة عمياء .. وعاشقة مخلصة .. نهضت واقفة وقـالت فى هدوء آثار دهشـة هولمز: اننى لا أدرى الغـرض من حـديثك هذا يـاسيـدى وأريد تجـاهله ، ولهـذا أرجـوك أن تخـرج وان لاتنطق بكلمة أخرى .

أجابها هولمز :

لم يخطر لى أبدا أن أثقل عليك بوجـودى ، ولكننى مصـمم على أن أخـرج من البـيت وأنت مـعى : نعم ياآنسـة سنخـرج مـعـا، وسـوف تتبـعيننـى دون أى اعـتـراض ، ومن غـيـر أية كلمـة .. السـاعـة الآن العاشرة والنصف ، وسنخرج بعد خمس دقائق .

- واذا لم أفعل ؟

سـأمضـى إلى مـسيـو ديتانج وأطلعه على الحيـاة الكاذبة لمكسـيم برمون وأذكر الحياة المزدوجة لشريكته .

- شريكته ؟

- نعم تلك التى يدعـونهـا الغـادة الشـقـراء ، والتى كـانت شـقـراء ، وسأذكر له أنك أنت التى قتلت البارون دوتريك .

- اسكت بالله يا سيدى . وما دمت تعرف كل هذه الأشياء فيجب أن تعرف أننى لم أتعمد قتل البارون

- لم أقل إنك قتلته عمدا يا آنسـة . فقد اخبرتنى الأخت أوجست أن

البارون كان عرضة لنوبات من الجنون ، ولاريب أنه انقض عليك فى إحدى نوباته ، وحاولت الدفاع عن نفسك فطعنته ، واستولى عليك الفزع عندئذ فدققت الجرس وهربت دون أن تنتزعى الماسة التى كنت تنوين الاستيلاء عليها .. وبعد لحظة عدت ومعك خادم من البيت المجاور ونقلتما البارون إلى فراشه ، وأعدتما ترتيب الغرفة كما كانت .. هذا ما حدث ، ومع ذلك فإن يديك هما اللتان قتلتا .

ـ أهذا كل ما تنوى أن تذكره لأبى ؟

ـ أجل .. وسأقول له أن لدى الشهود للتعرف على الغادة الشقراء ، وهم الآنسة جربوا والأخت اوجست التى ستعرف فيك انطوانيت بريها ، والكونتس كروزون التى ستعرف فيك مدام دى ريال . هذا ما سأقوله له .

قالت وقد استعادت رباطة جأشها أمام ذلك التهديد :

ـ إنك لن تجرؤ .

نهض وتقدم خطوة نحو المكتبة ، فأوقفته قائلة :

ـ لحظة يا سيدى .. أنت شرلوك هولمز طبعاً ، أليس كذلك ؟

ـ نعم . وإنى تكلمت فى خمس دقائق يا آنسة ، وقد مضت أكثر من نصف ساعة .

ـ هل تسمح لى أن أصعد إلى غرفتى وأستبدل ثيابى .

ـ إذا أردت يا سيدتى فأمضى لانتظارك فى شارع مونشانان ، فأنا صديق حميم للبواب جانيو .

قالت وقد بدا عليها الذعر :

ـ آه . أنت تعرف إذن ؟

ـ إننى أعرف أشياء كثيرة يا سيدتى .

ـ حسناً .. سأدق الجرس أذن .

وجئ لها بمعطفها وقبعتها ، وقال هولمز :

ـ يجب أن تجدى عذرا تبررين به لأبيك سبب رحيلك وغيابك لبضعة أيام .

ـ لاداعى لذلك يا سيدى ، فسأعود سريعا .

ونظر كل منهما إلى الآخر فى تحد ، ثم قال :

ـ شد ما تثقين به يا سيدتى .

ـ كل الثقة .

ـ كل ما يفعله جميل إذن ؟ هل تقرينه على كل شئ؟ وهل أنت على استعداد لكل شئ من أجله ؟

ـ إننى أحبه يا سيدى .

ـ وهل تعتقدين أنه سينقذك ؟

هزت كتفيها وتقدمت إلى أبيها وقالت له :

سأمضى إلى المكتبة العامة ، وسيرافقنى مسيو ستيكمان بعض الوقت .

ـ هل ستعودين للغذاء ؟

ـ ربما . وربما لا . ولكن لاتقلق .

وتحولت إلى هولمز وقالت له :

ـ هلم بنا يا سيدى .

ـ إذا حاولت الهرب فسوف أصرخ ، وسيلقى القبض عليك ويزج بك فى السجن . ولاتنسى أنه مطلوب القبض على السيدة الشقراء .

ـ أقسم لك بشرفى اننى لن أحاول الهرب .

وكانت السيارة لاتزال تنتظر والسائق جالس مكانه وقد رفع ياقة معطفه حتى رقبته . وفتح هولمز الباب وطلب من كلوتيلد أن تصعد ثم جلس إلى جوارها .

وراح يدعك يديه في سرور وهو يقول لنفسه إن جانيمار فى بيته ، وسأترك الفتاة بين يديه . ولكننى لن أقول له من هى حتى لايمضى بها إلى السجن ويعرقل كل شئ .. وإذ أجد نفسى وحدى فسوف أفحص أوراق الملف والليلة أو غدا صباحا على الأكثر أمضى إلى جانيمار ، كما هو متفق وأسلمه أرسين لوبين وعصابته .

وفى هذه اللحظة رأى أن السيارة خرجت من باريس من بوابة نويى ، وكان يعرف أن شارع برجوليز فى قلب باريس فصاح بالسائق قائلاً :

- أنك أخطأت الطريق أيها السائق . قلت لك أن تمضى بنا إلى شارع برجوليز .

ولكن السائق لم يجب ، واستمر فى طريقه ، فصاح هولمز :

- هل أنت أصم أيها الصديق ؟ أقول لك شارع برجوليز .

ولزم السائق الصمت فأحس الانجليزى بالقلق ، ونظر إلى كلوتيلد فرآها تبتسم فتذمر قائلاً :

- لماذا تبتسمين ؟ ليس لهذا الحادث أى علاقة ، ولن تتغير الأمور .

أجابت :

- طبعا . لن تتغير .

وخامرته فكرة طارئة ، فنهض شيئاً ما وفحص السائق بدقة . كانت هيئته مختلفة عن السائق الأول .. وتوترت يداه .. وتصبب وجهه عرقا بينما اتضحت الحقيقة فى ذهنه فى ذعر وهلع .. لم يكن السائق

غير أرسين لوبين .

وقال لوبين وهو يبتسم :

- ما رأيك فى هذه النزهة الصغيرة ؟ ألم ترق لك يا مسيو هولمز ؟

أجابه هولمز :

- بل راقت لى كثيراً .

وبذل جهدا اجباريا لكى يتغلب على قلقه ، وشهر مسدسه وصوبه إلى كلوتيلد وهو يقول :

- إن لم تقف حالا يا لوبين فسأطلق النار على الآنسة .

قال لوبين دون أن يحول رأسه :

- أنصحك أن تصوب إلى الصدغ إذا أردت أن تصيب منها مقتلا .

وقالت كلوتيلد :

- لاتسرع هكذا يامكسيم ، فالبلاط شديد الانزلاق ، وأنا شديدة الخوف .

أعاد هولمز المسدس إلى جيبه وأمسك باكرة الباب يريد أن يندفع إلى الخارج ، رغم ما فى هذه الفكرة من جنون ، ولكن كلوتيلد قالت :

- حذار يا سيدى ، فإن وراءنا سيارة أخرى .

فانحنى ورأى سيارة تتبعهم حقا . سيارة كبيرة حمراء بلون الدم وفيها أربعة رجال كالوحوش الضارية فقال لنفسه :

- آه لا داعى للمخاطرة ولأتجمل بالصبر .. وعقد ذراعيه فوق صدره . ولم يعد يفكر إلا فى شئ واحد والسيارة تنطلق وتعبر السين، وهو بأية معجزة استطاع لوبين أن يحل محل السائق .. من المستحيل أن يكون السائق الذى اختاره فى الصباح شريكاً لأرسين

لوبين، وكان لابد أن يسلم بأن لوبين عرف بالخطر الذى يهدد كلوتيلد، وأنه لم يعرف ذلك إلا بعد أن هدد هو بالذات كلوتيلد ، فكيف حدث ذلك مع أنه لم يطلع أحد على نواياه .

ولكنه لم يلبث أن تذكر شيئاً .. المكالمة التليفونية التى تمت بين الفتاة والخياطة . وفهم على الفور ، فقد أحست الفتاة بالخطر عندما طلب محادثتها قائلاً إنه السكرتير الجديد لمسيو ديتانج وخمنت اسمه وغرضه واتصلت بكل جرأة وهدوء بلوبين واستنجدت به مستخدمة اصطلاحات متفق عليها بينهما .

ولكن كيف جاء لوبين ، وكيف اشتبه فى السيارة التى تنتظره . وكيف رشا السائق ؟ وما العمل مع رجل مثله له هؤلاء الأعوان ، ويستطيع بنفوذه وقوته أن يوحى لامرأة بكل تلك الشجاعة والجرأة.

وظلت السيارة تطوى الأرض طيا ساعتين كاملتين ، وبسرعة رهيبة ، إلى أن توقفت أخيرا على شاطئ نهر السين ، أمام جسر صغير يرسو أمامه يخت بسيط ومتين تندفع من مدخنته نفثات ملتفة من الدخان . وأسرع رجل إلى لوبين ، فسأله :

ـ هل اليخت جاهز ؟

ـ نعم .

وكانت السيارة التى تتبعهم قد توقفت هى الأخرى وهبط منها الرجال الأربعة ، وخاطب لوبين أحدهم ، عرف فيه هولمز صاحب الردنجوت الطويل قائلاً :

ـ أعد السيارة التى استأجرتها من السائق وانقده الدفعة الثانية التى وعدناه بها وهى ألف فرنك . أنه ينتظر فى المقهى الكائنة بشارع ليجندر .

وأحدق بقية الرجال بهولمز فلم يسعه إلا أن يتبع لوبين ويدخل معه مقصورة الربان . وهناك تحول لوبين إليه وقال :

ـ ماذا تعرف بالتحديد ؟

ـ أننى أعرف كل شئ .

وتراشقاً بالنظر ، الآن وقد أصبحا غريمين . غريمين إلى الأبد ، وقال لوبين فى شئ من الانفعال :

ـ إنك اعترضت طريقى مراراً كثيرة يا صديقى ، وهذا أمر لا أرضاه ففيه مضيعة لوقتى فى احباط الفخاخ التى تنصبها لى ، ولهذا فإن تصرفى معك سيتوقف على ردك . فماذا تعرف بالتحديد .

ـ أعود فأقول لك أننى أعرف كل شئ يا سيدى .

تمالك أرسين لوبين نفسه وقال :

ـ سأقول لك أنا ما تعرفه . أنك تعرف أننى انتحلت اسم مكسيم برمون وأحدثت بعض التعديلات فى خمسة عشر بيتاً من البيوت التى بناها مسيو ديتانج ، وأنك تعرف من هذه البيوت أربعة .

ـ نعم .

ـ وأن معك كشفاً بالأحد عشر بيتاً الأخرى .

ـ نعم .

ـ وحيث أنك تفترض أننى احتفظ ببيت من هذه البيوت كمخبأ خاص بى وبأصدقائى فإنك اتصلت بجانيمار لكى يعثر على هذا البيت .

ـ كلا .

ـ ما معنى هذا ؟

ـ معناه أنني أعمل بمفردى . وأنني كنت أنوى العثور على هذ،
البيت بنفسى .

ـ أذن فليس هناك ما أخشاه مادمت قد أصبحت فى قبضة يدى .

ـ ليس هناك ما تخشاه طالماً أكون فى قبضة يدك .

ـ معنى قولك هذا أنك لن تبقى فى قبضة يدى .

ـ هو ذلك .

اقترب لوبين من الانجليزى ، ووضع يده على كتفه فى رفق وقال :

اسمع أيها السيد . لست فى حالة تسمح لى بمناقشتك ، ولست أنت ، لسوء حظك فى حالة تسمح لك باحباط مشروعاتى ، ولهذا أرجوك أن تعدنى بشرفك أن لا تحاول الهرب من هذا اليخت قبل أن يصل إلى المياه الانجليزية .

قال هولمز فى جرأة :

ـ أعدك بشرفى أننى سأحاول المستحيل للهرب .

ـ ألا تعلم ، عليك اللعنة ، أن كلمة واحدة منى لهؤلاء الرجال تكفى لكى يشلوا حركتك . كل هؤلاء الرجال يطيعوننى طاعة عمياء ، وبإشارة منى يضعون القيد حول عنقك .

ـ أن القيود تنكسر .

ـ ويلقون بك فى البحر على بعد عشرة أميال من الساحل .

ـ أننى أجيد السباحة .

قال لوبين وهو يضحك :

أنت تعرف كيف ترد يا صاحبى . وليغفر الله لى ، فقد كنت غاضباً .

أرجو المعذرة إذن ، ولنفرغ الآن . ألا توافقنى على أننى أبحث عن الوسائل الضرورية لسلامتى وسلامة أصدقائى .

ـ لك أن تتخذ كل الوسائل ، ولكنها لن تجديك .

ـ اتفقنا . ومع ذلك فلا تحقد على إذا أنا فعلت .

وفتح الباب ونادى الربان وبحارين وأمسك هؤلاء الأخيران بهولمز ، وبعد أن فتشاه أوثقا ساقيه وقيداه فوق الفراش .

وبعد أن انصرف البحاران قال لوبين مخاطبا الربان :

ـ ليبق أحد رجالك هنا تحت تصرف مسيو هولمز . ويجب معاملته بكل اعتبار ، فهو ليس أسيراً وإنما ضيف . كم الساعة معك ؟

ـ الثانية وخمس دقائق .

نظر لوبين إلى ساعته وقال :

ـ الثانية وخمس دقائق تماماً . كم تستغرق رحلتك إلى سوثهامبتن .

ـ تسع ساعات دون استعجال .

ـ فلنستغرق إحدى عشرة ساعة إذن . لايجب أن تصل إلى الميناء إلا بعد إبحار الباخرة التى تغادر سوثهامبتن فى منتصف الليل والتى تصل إلى الهافر فى الثامنة صباحاً . هل هذا مفهوم أيها الربان . أعود فأقول إن خطراً كبيراً يحدق بنا إذا عاد هذا السيد إلى فرنسا بتلك الباخرة ، ولهذا لايجب أن تصل إلى سوثهامبتن قبل الساعة الواحدة صباحاً .

ـ هذا مفهوم .

ـ لك تحياتى يا أستاذ . وإلى اللقاء فى العام المقبل فى هذه الدنيا أو فى الدنيا الآخرة .

قال هولمز :

ـ بل إلى اللقاء غداً .

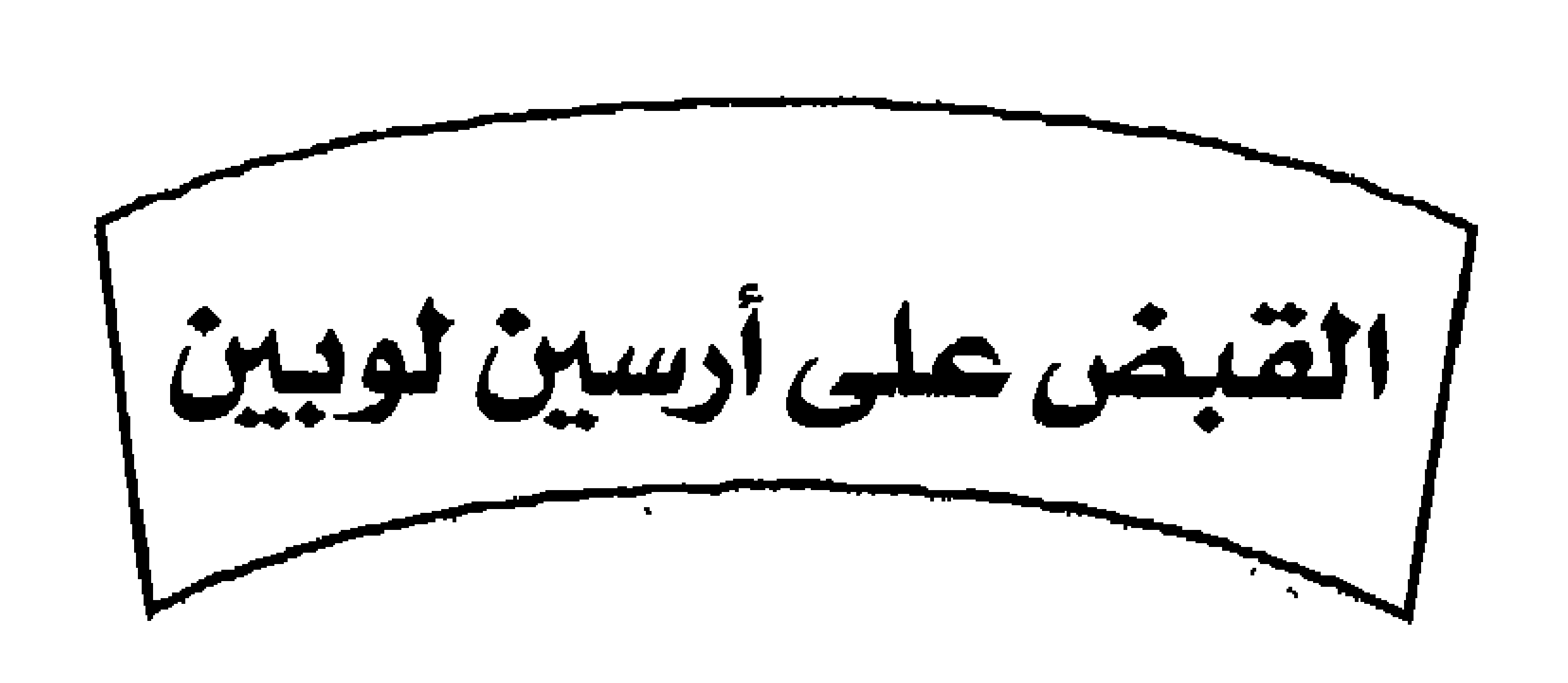
وبعد بضع دقائق سمع هولمز السيارة وهى تبتعد. وانطلق اليخت على الفور .

وفى نحو الساعة الثالثة كان اليخت قد غادر مصب نهر السين ، ودخل عرض البحر . وفى تلك اللحظة كان هولمز مستلقياً فوق الفراش يغط فى النوم .

وفى صباح اليوم التالى ، وهو اليوم العاشر من الحرب المعلنة بين الغريمين ، نشرت جريدة ايكو دى فرانس هذا النبأ :

أصدر أرسين لوبين بالأمس قراراً بترحيل البوليس السرى الانجليزى شرلوك هولمز . وقد صدر القرار ظهراً ، ونفذ فى نفس اليوم .. وهبط هولمز فى ميناء سوثها مبتن فى الساعة الواحدة من صباح اليوم .





القبض على أرسين لوبين

منذ الساعة الثامنة صباحاً واثنتا عشرة عربة من عربات النقل تزحم شارع كريفو الواقع بين شارعى بوادى بولونى وشارع بوجو كان مسيو فيلكس دافى يغادر المسكن الذى يشغله فى الطابق الرابع من البيت رقم ٨ وكان مسيو دوبريك ينقل فى نفس الوقت مجموعة الموبيليات والتحف النفيسة التى كان العديد من مراسليه الأجانب يأتونه كل يوم بسببها فى الشقق الثلاث التى جمع بينها فى الطابق الخامس من نفس البيت بنفس الشارع وفى الطابق الخامس من كل من البيتين المجاورين .

نقطة غريبة لم يذكرها أحد إلا فيما بعد . وهى أن عربات النقل لم تكن تحمل اسم الشركة التابعة لها ، ولم يبق أحد من الحمالين فى المكان بعد ذلك كانوا يعملون بجد بحيث أنهم فرغوا من عملهم فى الساعة الحادية عشرة ولم يخلفوا وراءهم غير بعض قصاصات الورق والخرق ، كما هى العادة دائماً فى مثل تلك الأحوال .

ومسيو فيلكس دافى شاب أنيق جداً ، يعنى بمظهره كل العناية ويمسك فى يده عصا ثمينة ذات قبضتين ، مضى بهدوء وجلس على الدكة التى بناصية شارع بوادى بولونى ، بجوار امرأة بورجوازية تقرأ جريدة وبجوارها صبى صغير يلعب ويحفر بمجرفة كمية من الرمال .

قال فليكس بعد لحظة ، يخاطب المرأة دون أن يحرك رأسه :

ـ مسيو جانيمار ؟

ـ غادر البيت فى الساعة التاسعة هذا الصباح .

ـ إلى أين ؟

ـ إلى إدارة البوليس .

ـ ألم تأته برقية ؟

ـ كلا .

ـ أما زالوا يثقون بك فى البيت ؟

ـ نعم . أننى أؤدى خدمات صغيرة لمدام جانيمار ، وهى تروى لى كل ما يفعله زوجها . وقد قضينا اليوم معاً .

ـ هذا حسن . داومى على المجئ هنا فى الساعة الحادية عشرة من كل يوم .

ومضى إلى مطعم صغير حيث تناول وجبة خفيفة ثم عاد إلى شارع كريفو وقال للبوابة :

ـ سألقى نظرة فوق ثم أسلمك المفاتيح .

وأنهى تفتيشه بالغرفة التى كان يتخذها مكتبا له ، وهناك أمسك بطرف أنبوبة تتدلى بطول المدفأة ، ورفع الغطاء الذى يغيطها ، ووضع فيها أداة على هيئة البوق ونفخ فيه ، فأجابه صفير . ورفع الأنبوبة إلى فمه وهمس

ـ ألم يأت أحد يا دوبريك ؟

ـ كلا .

ـ هل أستطيع الصعود ؟

ـ نعم .

وأعاد الأنبوبة مكانها وهو يقول :

ـ إلى أين يقودنا التقدم ؟

إن عصرنا يزخر بالاختراعات التى تجعل الحياة جميلة وغريبة ومريحة خاصة إذا عرف المرء كيف يستمتع بها مثلى . وأدار حلية برخام المدفأة فدارت لوحة الرخام نفسها وتحركت المرآة التى بجوارها كاشفة عن فتحة تبدو منها الدرجات الأولى لسلم مبنى داخل المدفأة نفسها . وكان نظيفاً وملمعا ومبلطاً بالصينى .

صعد . وفى الطابق الخامس نفس الفتحة بجوار المدفأة . وكان مسيو دوبريك ينتظر . وبادره قائلا:

ـ هل فرغت من كل شئ وتم النقل ؟

ـ نعم .

ـ والموظفون .

ـ لم يعد هناك غير الحراس الثلاثة .

ـ هلم بنا .

وصعدا نفس الطريق حتى طابق الخدم ، وأفضى بهما إلى غرفة بها ثلاثة رجال ، ينظر أحدهم من النافذة .

غرفة بها ثلاثة رجال ، ينظر أحدهم من النافذة .

ـ هل هناك جديد ؟

ـ لا شئ أيها الزعيم .

ـ بعد عشر دقائق سأنصرف نهائياً . ولكم أن تنصرفوا أنتم أيضاً . ولكن نبهونى إذا رأيتم ما يريب .

وهبط الرجلان حتى شقة فيلكس دافى . وبعد أن أعاد هذا الأخير لوح الرخام مكانه صاح في مرح :

- دوبريك . وددت أن أرى رأس هؤلاء الذين سيكتشفون كل هذه الخدع الرائعة . أجراس الإنذار والأسلاك الكهربية والأنابيب الكاوتشوك ، والممرات السرية ، والألواح التى تتحرك ، والسلالم الخفية . حيل حقيقية ولا فى الخيال .

- ويا لها من دعاية لأرسين لوبين .

- وهى دعاية لم أكن بحاجة إليها ، ومن المؤسف

أن نغادر مثل هذا المكان وأن نبدأ من جديد ، فى مكان آخر يا دوبريك ، وعلى نمط جديد ، لأنه لا يجب التكرار . لعنة الله على هولمز .

- أنه لم يعد بعد .

- وكيف يعود ؟ ليس فى سوثها مبتن غير باخرة واحدة ، وليس فى الهافر غير قطار واحد ، وهو قطار الساعة الثامنة صباحاً ، ويصل فى الحادية عشرة ، وطالما لم يستقل الباخرة ، وهو لم يستقلها طبعاً ، فإن التعليمات التى أصدرتها صارمة ، فلن يستطيع أن يكون فى فرنسا إلا هذا المساء عن طريق نيوها فن ودييب .

- ذلك إذا عاد .

- إن هولمز لا يتخلى عن مهامه أبداً . سيعود ولكن بعد فوات الأوان ، وسنكون بعيداً .

- والآنسة ديتانج ؟

- يجب أن التقى بها بعد ساعة .

- فى بيتها ؟

- كلا . لن تعود إلى البيت إلا بعد أيام . بعد أن تنتهى من كل شئ وعندما لا يتعين على الاهتمام بها . ولكن أنت يا دوبريك ، يجب أن تسرع ، فإن نقل كل طرودنا سيقتضى مدة طويلة ووجودك على الرصيف ضرورى .

- هل أنت واثق أننا لسنا مراقبين .

- ممن ؟ لم أكن أخشى إلا هولمز .

وخرج دوبريك ، وقام فيلكس دافى بدورة أخيرة ، ثم رأى قطعة من الطباشير فأخذها ورسم على الورق الداكن لغرفة الطعام مربعاً كبيراً بداخله ما يلى "هنا ، أقام أرسين لوبين ، اللص الشريف ، خمس سنوات من بداية القرن العشرين" .

بدا كان هذه الدعابة سببت له فرحة كبيرة ، فنظر إليها وهو يصفر فى مرح ثم صاح :

- الآن وقد رتبت أمورى مع الأجيال القادمة ، فلنهرب . أسرع يا أستاذ هولمز . سأكون قد غادرت مخبئى بعد ثلاث دقائق ، وستكون هزيمتك كاملة . لم تبق غير دقيقتين . باقى دقيقة واحدة . أفلا تأتى ؟ حسناً . أننى أعلن هزيمتك . وداعاً يا مملكة أرسين لوبين . لن أراك بعد . وداعاً للمساكن الخمسة والخمسين بالشقق الست التى كنت أحكم فيها . وداعاً يا غرفتى الصغيرة !

ورن جرس فى هذه اللحظة فقطع عليه مرحه .. رنين حاد وسريع .. انقطع مرتين ثم دوى مرتين أخريين ثم انقطع من جديد كان رنين جرس الانذار .

ماذا حدث أذن ؟ وأى خطر غير متوقع ؟ جانيمار ؟ لايمكن .

كان على وشك أن يعود إلى غرفة مكتبه ، ولكنه مضى إلى النافذة

وأطل منها . .لا أحد .. ايكون العدو داخل البيت ؟ ... اصاخ السمع وخيل إليه أنه يسمع أصواتاً مبهمة فجرى حتى مكتبة ، وبينما هو يجتاز العتبة سمع صوت مفتاح يدار فى الردهة فقال :

ـ يا للشيطان ! لم يعد أمامى وقت .. لعل البيت محاصر .. سلم الخدم ؟ محال .. هناك المدفأة لحسن الحظ .

ودفع الحلبة الرخامية ، ولكنها لم تتحرك .. وحاول مرة أخرى ولكن عبثاً وفى نفس اللحظة أحس بأن الباب يفتح وأقداماً تقترب ، وصاح :

ـ يا للشيطان .. أننى وقعت .

وراح يدفع الحلبة بكل قوته ، ولكنها لم تتحرك ، لسوء الحظ لم يتحرك الميكانيزم الذى تحرك منذ قليل ، وسمع صوتاً خلفه يقول :

ـ ما الخبر يا مسيو لوبين ؟ أهناك شىء لا يدور كما تريد ؟

أجفل لوبين وقد هزه الرعب . كان شرلوك هولمز أمامه .

• • •

شرلوك هولمز .. نظر لوبين إليه وهو يرمش بعينيه فى دهشة من أمره . كيف هذا ؟ أنه ارسله بالأمس إلى انجلترا، كما لو كان يرسل طرداً شديد الخطر، و ولكن ها هو الآن يقف أمامه ، حراً ، طليقاً ومزهوا بنصره . ولكى تتم هذه العملية ، رغم إرادة ارسين لوبين ، فلابد أن القوانين الطبيعية قد انقلبت .. شرلوك هولمز أمامه !

وقال الانجليزى فى لهجة تنطق بالسخرية :

ـأعلم يا مسيو لوبين أننى لم أعد أفكر فى هذه اللحظة فى الليلة التى ارغمتنى على قضائها فى بيت البارون دوتريك ، ولا فى الضرر

الذى الحقته بصديقى واطسون ، ولا فى اختطافى بالسيارة ولا فى تلك الرحلة التى أجبرتك عليها وأنا موثق اليدين والقدمين فان هذه الدقيقة تمحو كل شىء ، وأنا لم أعد اذكر شيئاً من كل ذلك فقد وجدت مكافأتى ، بسخاء .

لزم لوبين الصمت .. فاستطرد الانجليزى :

ـ أليس هذا رأيك ؟

نظر لوبين إليه فى تفكير عميق ثم قال :

ـ أن فرارك من السفينة ليس إلا حلقة ثانوية من كفاحنا .. ولكن وجودك هنا أمامى ، وحدك .. هل تسمع .. أمامى وحدك يحملنى على الظن بأن انتقامك كامل وأكيد .

ـ تماماً .

ـ وأن هذا البيت ؟

ـ محاصر .

ـ والبيتان المجاوران ؟

ـ محاصران .

ـ والشقة التى فوق هذه ؟

ـ الشقق الثلاث التى يقيم فيها مسيو دوبريك فى الطابق الخامس محاصرة .

ـ بحيث ؟

ـ بحيث أنك وقعت فى المصيدة يا مسيو لوبين .. فى المصيدة تماماً .

أحس لوبين بنفس الأحاسيس التى أحس بها هولمز فى السيارة ..

نفس الغضب ، ونفس التمرد ، وجعلته نفس الصراحة ينحنى أخيراً أمام الواقع .. كان كل منهما من القوة بحيث يتقبل الهزيمة كشر مؤقت لابد من الاذعان له . وقال :

ـ نحن متساويان إذن .

• • •

بدا السرور على الانجليزى إزاء هذا الاعتراف .. وقال لوبين وقد تمالك نفسه :

ـ ولا أشعر بأى استياء ، فانه لمن المضجر أن يكسب المرء كل الجولات .. وما كان على الا أن أمد يدى وأصيبك فى صدرك .. ولكن الأمر أصبح مسلياً .. ارسين لوبين فى المصيدة ، فكيف سيخرج منها ؟ يا لها من مغامرة ! أننى أدين لك بإنفعال شديد يا أستاذ .. ولكن هذه هى الحياة !

واقترب من الانجليزى وقال له :

ـ والآن ؟ ماذا تنتظر ؟ أن جانيمار هنا مع رجاله ، فلماذا لا يدخل ؟

ـ طلبت منه أن ينتظر ، فانا لم أطلب مساعدته الا بشرط حاسم ، وهو أن يدعنى أتصرف كما أشاء .. ثم أنه يعتقد أن مسيو فيلكس دافى ما هو الا أحد شركاء لوبين .

ـ أعود وأكرر سؤالى .. لماذا دخلت وحدك ؟

ـ سأوجز إذن .. ان الفرض من وجودى فى فرنسا ليس القبض عليك وإنما العثور على الماسة الزرقاء الحقيقية ، لأن تلك التى عثروا عليها مع القنصل النمسوى مقلدة .

ـ هذا صحيح .. فقد أرسلت الغادة الشقراء الماسة الحقيقية إلى ،

وصنعت ماسة أخرى تشبهها تماماً .. ولما كانت الشبهات تحوم حول القنصل النمسوى فقد دست الغادة الشقراء الماسة المزيفة فى متاعه لكى تبعد عنها الشبهة .

- واحتفظت انت بالماسة الحقيقية ؟

- طبعاً .

- أريد هذه الماسة .

- هذا محال ، وأننى آسف جداً .

- أننى وعدت الكونتس دى كروزون بأن أعيدها إليها . وسأحصل عليها

- وكيف تحصل عليها وهى معى ؟

- وسأحصل عليها بالذات لأنها معك .

- معنى هذا أنك تنتظر أن أردها إليك .

- بل سأشتريها منك ؟

- وماذا تعطينى مقابلها ؟

- حرية الآنسة ديتانج .

- حريتها ؟ ... ولكننى أعرف أنه ليس مقبوضاً عليها .

- سأزود مسيو جانيمار بالمعلومات الضرورية ، وسيلقى القبض عليها وهى الأخرى لأنك لن تستطيع حمايتها .

أنفجر لوبين ضاحكاً وقال :

- أنك تعرض على ما لاتملكه ، فان الآنسة ديتانج فى أمان تام ولا تخشى شيئاً .. وأسالك أن تعرض على شيئاً آخر .

تردد الانجليزى ، بادى الضيق ، وقد أحمرت وجنتاه قليلا ، ثم

ألقى يده فجأة على كتف غريمة وقال :

ـ وإذا عرضت عليك شيئاً آخر .

ـ حريتى ؟

ـ كلا .. ولكننى استطيع أن اخرج من هذه الغرفة وأن اتداول مع مسيو جانيمار ريثما تفكر .

قال لوبين وهو يدفع حلية الرخام فى حنق ولكن فيم ينفعنى ذلك ؟ أن هذا الجهاز اللعين لا يعمل .

ولكن هذه المرة ، ويا لسخرية القدر ، تحرك الجهاز تحت أصابعه .

وكان فى ذلك النجاة والهرب الممكن . وفى هذه الحالة لا حاجة به إلى الخضوع لشروط هولمز ، فراح يمشى جيئة وذهاباً وهو يفكر .. ثم ألقى يده بدوره على كتف الانجليزى وقال :

ـ بعد التفكير والتروى أحب أن اتدبر شئونى بنفسى .. ولست بحاجة إلى أحد .

ـ ولكن عندما يمسك بك جانيمار فلن يتخلى عنك .

ـ من يدرى ؟

ـ ولكن هذا جنون : فكل المنافذ مسدودة .

ـ بل لا يزال هناك منفذ واحد .

ـ وهو ؟

ـ هو الذى سأختاره .

ـ هذا كلام فارغ .. أن اعتقالك أمر مفروغ منه .

ولكنه لم يتم بعد .. وسأحتفظ بالماسة الزرقاء .

نظر هولمز إلى ساعته وقال :

ـ الساعة الآن الثالثة إلا عشر دقائق .. سأستدعى جانيمار فى الساعة الثالثة .

ـ أمامنا إذن عشر دقائق للثرثرة .. فلننتهز هذه الفرصة يا مسيو هولمز وقل لى كيف عرفت عنوانى واسمى كفيلكس دافى ؟

ـ عرفت ذلك من الآنسة ديتانج .. ولعلك تتذكر أننى عندما اردت أن اختطفها اتصلت بك .

ـ هذا صحيح .

ـ حسناً . .فهمت فيما بعد أن الخياطة هى أنت .. وبذلت جهدى الليلة وأنا فى اليخت وتمكنت من تذكر الرقمين الأخيرين من الرقم الذى ادارته وهى ٧٣ ، ولما كنت أملك كشفاً ببيوتك « المعدلة » فقد تمكنت من معرفة عنوان فيلكس دافى من رقم التليفونات وإذ عرفت هذا العنوان ، طلبت مساعدة مسيو جانيمار .

ـ هذا عظيم .. ولا أملك الا أن انحنى أمام ذكائك وعبقريتك .. ولكن الشىء الذى لا أفهمه هو كيف استطعت أن تركب قطار الهافر ، وكيف هربت من اليخت ؟

ـ أنا لم أهرب ، فأنت قد أمرت الربان بان لايصل إلى ميناء سوثها مبتن الا فى الساعة الواحدة ، ولكنه وصل إليها فى منتصف اللّيل ، وبذلك استطعت أن استقل باخرة الهافر .

ـ أذن فقد خاننى الربان ؟ هذا أمر لا أصدقه .

ـ أنه لم يخنك .. وإنما استطعت أن أقدم ساعته ساعة من غير أن يفطن إلى ذلك وأنا أروى له بعض الدعابات التى أثارت ضحكه .

ـ استطيع أن أفهم أنك قدمت ساعته من غير أن يفطن ، ولكن

ساعة اليخت ؟

- آه .. كان ذلك أمراً أكثر صعوبة ، لأنني كنت موثق القدمين ولكن البحار الذى كان يقوم على حراستى أراد أن يساعدنى فى غفلة من الريان .

- البحار ؟ لا أصدق ذلك ؟ وهل قبل ؟

- أوه ، أنه لم يدرك أهمية فعلته .. قلت له أنه لابد أن استقل أول قطار إلى لندن .. وقد اقتنع مقابل هدية صغيرة .. فى نيته أن يقدمها اليك على كل حال .

- أية هدية ؟

- هدية تافهة تقريباً ، وأعنى بها الماسة الزرقاء المقلدة التى اعطتنى الكونتس اياها .

ضحك لوبين حتى كاد أن يستلقى على قفاه ، وقال فى مرح :

- ما أغرب هذا ! ماستى المقلدة ! وساعة الريان ؟ وساعة اليخت .

وكان قد اقترب أثناء ذلك من هولمز ، فتراجع هذا الأخير وقال :

- الساعة الآن الثالثة يا مسيو لوبين ، فما هو ردك ؟

- الثالثة هكذا حالاً ... ردى ؟ ... هو أنك رجل لحوح .. هذه هى نهاية اللعبة إذن .. إما حريتى ..

وإما الماسة الزرقاء ..

- حسناً عليك أنت أن تبدأ اللعبة ، فماذا ستفعل ؟

قال هولمز وهو يخرج مسدسه :

- أننى سأسحب الورقة الرابحة .

قال لوبين وهو يوجه لكمة إلى وجهه :

قال لوبين وهو يوجه لكمة إلى وجهه :

- الورقة الرابحة معى أنا .

ولكن هولمز كان قد تمكن من إطلاق رصاصة لاستدعاء جانيمار . وامتقع لونه وترنح ، فى حين أسرع لوبين إلى المدفأة .. وكانت لوحة الرخام قد بدأت تتحرك ، ولكن بعد فوات الأوان ، إذ كان جانيمار أقرب بكثير مما كان لوبين يظن ، فدخل وهو يقول :

- سلم نفسك يا لوبين والا ..

ودخل خلفه عشرون رجلا من أشد الرجال قوة وأغلظهم قسوة ، وما كانوا إلا ليبطشوا به كالكلب عند أقل مقاومة .. ولهذا قال فى هدوء :

- لا داعى لاستعمال القوة .. اننى اسلم نفسى .

وعقد ذراعيه فوق صدره .

• • •

أحدثت كلماته دهشة ، وكان لها صدى عجيب فى تلك الغرفة التى خلت من الأثاث والرياش .. أننى أسلم نفسى .. كلمات عجيبة فقد توقعوا أن يختفى فجأة فى منفذ خفى أو أن ينهار جزء من الجدار أمامه ويحجبه عنهم وتقدم جانيمار وهو يكاد يطير من فرط الانفعال وقال فى سرور لا يوصف :

- أننى القى القبض عليك يا لوبين .. ارتعش لوبين وقال :

- أنك تثير اشمئزازى ياجانيمار .. ما هذه السحنه الكئيبة ؟ ليخال للمرء أنك تؤبن صديقاً .. لاتكن كئيباً هكذا !

- أننى القى القبض عليك .

- وأن هذا ليذهلك .. المفتش القدير جانيمار يلقى القبض على لوبين

الشرير .. أنها للحظة تاريخية لاتفهم مدى أهميتها وهذه هى المرة الثانية التى يقع فيها هذا الحدث العظيم .. مرحى يا جانيمار.. أن لك مستقبلا زاهراً .

ومد معصميه فوضع جانيمار فيهما الأصفاد .

وكان حدثاً غريباً ، رغم ما عرف من رجال البوليس من شدة وغلظة . فقد أدهشهم أن يروا لوبين يمد يديه بمثل هذا الهدوء والاستسلام وتمتم لوبين يحدث نفسه :

- مسكين أنت يا لوبين ! ماذا يقول أصدقاؤك وهم يرونك فى هذه الحالة .. المهينة ؟

وباعد ما بين قبضتيه بجهد مستميت مستخدماً كل عضلاته ، وبرزت عروق جبينه ، وتغلغلت حلقات الأصفاد فى لحم يديه ثم تحطمت ، وقال :

- إلى بغيرها ، فهذه الأصفاد لاتساوى شيئاً .

وحضروا يديه بأصفاد مضاعفة ، فقال :

- لابأس بهذا الاحتياط .. كم عددكم أيها الأصدقاء ؟ خمسة وعشرون ؟ ثلاثون ؟ انتم كثيرون .. ولا طاقة لى بكم .. ليتكم كنتم خمسة عشر فحسب .

كانت شخصيته غريبة حقاً ، كما لو كان ممثلا يقوم بدوره باقتدار وموهبة .. ونظر هولمز إليه فى إحترام وتقدير .. والحق أنه بدا له فى هذه اللحظة كخصم غريب ، يساوى وحده رجال البوليس الثلاثين المحيطين به . وقال لوبين يخاطبه :

- حسناً يا أستاذ .. بفضلك أنت سيتعفن لوبين فوق "برش" الزنزانه .

اعترف أذن أن ضميرك ليس هادئاً تماماً وأنه يعذبك .

هز الانجليزى كتفيه رغماً عنه ، وحال لسانه يقول :

ـ ما كان عليك الا ..

وصاح لوبين :

ـ أبداً .. أبداً .. لن أعيد لك الماسة .. أنها كلفتنى عناء شديداً ، وسأقول لك السبب عندما أتشرف بزيارتك فى لندن ، ربما في الشهر القادم .

وأجفل ، فقد دوى فى السقف صوت .. ولم يكن صوت جرس الانذار ، وإنما صليل التليفون ، ولم تكن اسلاكه قد رفعت بعد .. وآتى لوبين بحركة نحو التليفون فى غيظ كما لو كان يريد أن يحطمه وأن يكتم الصوت الذى يريد أن يحدثه .. ولكن جانيمار رفع السماعة وقال :

ـ الو .. الو .. نعم ، هذا هو رقم ٦٤٨٧٣ .

أقصاه هولمز على الفور فى صراحة وقوة .. وأخذ السماعة ووضع منديل فوق المسماع لكى يغير من نبرات صوته .. ورفع عينيه فى تلك اللحظة نحو لوبين .. وكانت النظرة التى تبادلاها أفصح من كل كلام ، فقد أدرك كل منهما شخصية المتحدث .. كانت هى الغادة الشقراء .. وكانت تعتقد أنها تتحدث إلى فيلكس دافى أو بالأحرى إلى مكسيم برمون ، والحقيقة أنها كانت تحادث هولمز .

وعاد الانجليزى يقول :

ـ ألو .. ألو ..

صمت جديد ثم قال هولمز :

ـ نعم . أنا مكسيم .

اتضحت المأساة على الفور ، وفى دقة مأساوية .. ولم يعد لوبين الساخر الذى لايقهر يفكر فى إخفاء قلقة ، وامتقع لونه ، وحاول أن يسمع وأن يخمن ، فى حين استطرد هولمز يقول :

ـ نعم ، نعم ، انتهى كل شيء .. وكنت أهم بالاتصال بك كما هو متفق ، أين ؟ .. ولكن حيث أنت .. ألا تظنون أننا .

وتردد وراح يبحث عن كلماته ، ثم أمسك ..كان واضحاً أنه يحاول أن يسأل الفتاة من غير أن يكشف عن نفسه ، وكان يجهل تماماً أين هى .. ثم بدأ كأن جانيمار يضايقه .. لو تقع معجزة وتنقطع هذه المكالمة الشيطانية ، وقال هولمز :

ـ آلو .. آلو .. ألاتسمعيننى .. وأنا أيضاً لا أسمعك. هل تسمعين الآن .. أرى أن من الأوفق أن تعودى إلى البيت .. أى خطر ؟ لايوجد خطر على الاطلاق .. ولكنه فى انجلترا، وقد تلقيت برقية من سوثها مبتن تؤكد لى وصوله إلى هناك .. لاتضيعى الوقت إذن ايتها العزيزة .. إلى الملتقى قريباً .

وأعاد السماعة مكانها وقال :

ـ مسيو جانيمار .. أريد ثلاثة من رجالك .

ـ لالقاء القبض على الغادة الشقراء ؟ .. اليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ هل تعرف أين هى ؟

ـ نعم .. يا له من انتصار عظيم .. لوبين وشريكته.. أنه ليوم جميل .. فولنفان .. خذ رجلين واذهبوا مع السيد .

وابتعد الانجليزى ، يتبعه الرجال الثلاثة .

كان فى هذا النهاية .. ستقع الغادة الشقراء هى الأخرى بين يدى

هولمز وذلك بفضل اصراره وإلحاحه ، وبفضل تواطؤ الاحداث السعيدة انتهت المعركة فى صالحه وبهزيمة لوبين .

ـ مسيو هولمز .

توقف الانجليزى وقال :

ـ نعم يا مسيو لوبين !

بدا كان هذه الضربة الأخيرة قد هزت لوبين تماماً .. وأمتلأ جبينه بالغضون .. أحس بالتعب والقهر ، ومع ذلك فقد اعتدل فى كبرياء أخير وصاح رغم كل ما يشعر به :

ـ لقد تألب القدر ضدى ، فوقف منذ قليل أمام فرارى من المدفأة واوقعنى بين يديك ، واستخدم التليفون الان لكى يهديك بالغادة الشقراء ، وأننى رهن أمرك ، ومستعد للتفاوض معك .

أخذ هولمز جانيمار على حدة ، والتمس منه بلهجة لاتقبل الجدل أن يسمح له بتبادل بضع كلمات مع لوبين ، ثم عاد إلى هذاالأخير ، وقال له فى انفعال وغلظة :

ـ ماذا تريد ؟

ـ حرية الآنسة ديتانج .

ـ أنت تعرف الثمن .

ـ أننى أقبل كل شروطك .

ـ والماسة الزرقاء ؟

ـ خذ عصاى ، هناك ، بجوار المدفأة ، واضغط باحدى يديك على مقبضها وحركه بيدك الأخرى .

أخذ هولمز العصا ، وفعل كما قيل له . ورأى أن المقبض يدور ،

ووجد فى جوفه علبة من الملاط بداخلها الماسة ، فأخذها وقال :

- أن الآنسة ديتانج حرة يا مسيو لوبين .

- حرة في المستقبل ، كما فى الوقت الحاضر.. اليس هناك ما تخشاه ؟

- ليس هناك ما تخشاه منى ولا من أى أحد بعد اليوم . بل أنى نسيت حتى اسمها .

- شكراً .. إلى الملتقى لأننا سوف نلتقى يا مسيو هولمز ، اليس كذلك ؟

ودار بين جانيمار وهولمز نقاش حاد أنهاه هولمز قائلا :

- يؤسفنى كثيرا اننى لا أشاطرك هذا الرأى يا مسيو جانيمار .. ولكن لا وقت عندى لإقناعك .. أننى راحل إلى انجلترا بعد ساعة .

- ولكن ، والسيدة الشقراء ؟

- أننى لا أعرف هذه السيدة .

- ولكنك قلت منذ لحظة ...

- أننى قدمت إليك أرسين لوبين .. وهذه هى الماسة الزرقاء .. أرجو أن تسلمها بنفسك للكونتس دى كروزون .. ويبدو لى أنه ليس هناك ما تشكو منه .

- والسيدة الشقراء ؟

- ابحث عنها بنفسك .

ووضع قبعته فوق رأسه وانصرف مسرعاً كمن اعتاد أن لا يضيع وقته بعد إنهاء مهمته .

• • •

هتف لوبين :

- مع السلامة يا أستاذ ، وصدق اننى لن أنسى ما بيننا من علاقات ودية وتحياتى لمسيو واطسون .

وإذ لم يتلق رداً قال :

- هذا رجل يفتقر إلى المجاملة والكياسة وينصرف بلا استئذان .. هل تظن يا جانيمار أن الفرنسيين يتصرفون بهذه الطريقة غير المهذبة .. ولكن ماذا تفعل ؟ عم تفتش لم يعد بالبيت شيء أيها الصديق العزيز .. ولا حتى قصاصة ورق .. لقد انتقلت ملفاتى إلى مكان أمين .

- من يدرى .. من يدرى .

وبدت عليه أمارات الخيبه أخيرا عندما لم يسفر تفتيشه عن شيء . وضحك لوبين وقال فى سخرية :

- هل كنت تتوقع أن تجد كشف بأسماء زملائى أو دليلاً على علاقتك بامبراطور المانيا ؟ ان ما يجب أن تبحث عنه يا جانيمار إنما هو الاسرار الصغيرة لهذا المسكن ، فهذه الانبوبة وسيلة للاتصال بالمساكن الاخرى ، وبهذه المدفأة سلم ، وهذا الجدار مجوف .. ثم الأسلاك الكهربية .. اضغط على الزر مثلاً ياجانيمار .. وقال بعد أن أطاعه جانيمار :

- ألم تسمع شيئاً ؟

- كلا .

- ولا أنا .. ومع ذلك فانك قد أنبأت قائد منطادى بأن يعد المنطاد الذى سيحلق بنا فى الجو بعد قليل .

- كفى هذراً .. وهلم بنا .

وتقدم بضع خطوات ، وتبعه رجاله ، أما لوبين فلم يتحرك .. ودفعه الحراس .. ولكن عبثاً .. وقال جانيمار :

ـ حسناً ... هل ترفض أن تمشى .

ـ هذا يتوقف على المكان الذى تريد أن تمضى بى إليه .

ـ إلى إدارة البوليس طبعاً .

ـ لن اتحرك إذن فلا عمل لى هناك .

أتى جانيمار بإشارة فأسرع رجلان ورفعا لوبين من ذراعيه ولكنهما أطلقاه على الفور وهما يصرخان من فرط الألم .. فقد غرز فيهما بيديه ابرتين طويلتين .

استولى الغضب عندئذ على الباقين فأنقضوا عليه ، تدفعهم الرغبة فى الانتقام ، وراحوا يكيلون له الضربات كيفما اتفق .. وزمجر جانيمار عندئذ محنقاً :

ـ لو اصبتموه بأذى فسيكون لى شأن معكم .

وانحنى فوق لوبين لمساعدته .. وإذ رأى أنه يتنفس أمر رجاله أن يحملوه من قدميه ومن رأسه وقال :

ـ ترفقوا به .. يا لكم من أوغاد وغلاظ القلوب.. أنكم أوشكتم أن تقتلوه كيف حالك يا لوبين .

فتح لوبين عينيه وتمتم :

ـ ليس هذا جميلا منك يا جانيمار .. أنك تركتهم يوسعوننى ضرباً .

ـ الغلطة غلطتك أنت ، فلولا عنادك .. ولكن هل تتألم ؟

وكانوا قد بلغوا البسطة فتأوه لوبين قائلا :

ـ جانيمار .. المصعد .. أنهم سيحطمون عظامى .

قال جانيمار :

ـ هذه فكرة طيبة .. بل فكرة رائعة .. ثم أن السلم ضيق ، وليست هناك وسيلة .

وجىء بالمصعد .. ونقل الرجال لوبين إليه ، وأجلسوه على المقعد بكل حرص وعناية . وجلس جانيمار بجواره ، وقال لرجاله :

ـ اهبطوا السلم ، وانتظرونى أمام غرفة البواب .

وأغلق باب المصعد، ولكنه لم يكن يفعل ذلك حتى انطلقت الصرخات ، ذلك أن المصعد ارتفع إلى أعلى كما لو كان منطاد انقطع حبله . ودوت ضحكة ساخرة . وصاح جانيمار وهو يبحث عبثاً عن مفتاح المصعد يا للشيطان !

وإذ لم يجد شيئاً أسرع يقول :

ـ اصعدوا إلى الطابق الخامس ، واحرسوا باب المصعد .

صعد الرجال السلم أربعاً أربعاً .. ولكن حدث شىء عجيب ، فقد بدا كأن المصعد ثقب سقف الطابق الخامس وتوقف فى الطابق العلوى ، وهو طابق الخدم .. وكان هناك ثلاثة رجال ينتظرون ، ففتحوا الباب وانقض اثنان منهم على جانيمار وشلا حركته ، وكان الذهول قد استولى عليه ولم يدر ماذا يفعل . أما الثالث فحمل لوبين .

ـ لقد أنذرتك يا جانيمار .. الاختطاف فى المنطاد .. وبفضلك أنت . كن رحيماً فى المرة القادمة ، وتذكر على الخصوص أن ارسين لوبين لايخضع للضرب من غير سبب وداعاً .

وكان المصعد قد أغلق وأعيد إلى الطوابق السفلى ، وتم كل ذلك

بسرعة بحيث وصل جانيمار إلى الطابق الأرضى فى نفس الوقت الذى وصل فيه رجاله .

ومن غير أن ينطق أحدهم بكلمة ، وكما لو باتفاق سابق ، أسرع الجميع إلى سلم الخدم ، وهو الطريق الوحيد المؤدى إلى الطابق المعد لاقامة الخدم ، وقادهم ممر طويل إلى باب موارب أفضى بهم إلى ممر ببيت آخر يؤدى إلى سلم هبطه جانيمار ، واجتاز حوشاً وردهة وألفى نفسه فى شارع آخر هو شارع بيكو ، وعندئذ فهم أن البيتين متجاوران ويطلان على شارعين متوازيين ،ويبتعد كل منهما عن الآخر بنحو ستين متراً .

دخل غرفة البوابة وأظهر لها بطاقته وقال : هل خرج من هنا أربعة رجال

- نعم . الخادمان اللذان يقيمان بالطابق الرابع والخامس ، وبرفقتهما صديقان .

- ومن الذى يقيم فى الطابقين الرابع والخامس ؟

- كان يقيم بهما السيدان فوفيل وابناعميهما آل بروست . وقد تركوا المسكين اليوم ولم يبق غير الخادمين ، ولكنهما انصرفا منذ قليل .

انهار جانيمار فوق اريكة بالغرفة وقال :

- آه .. لقد ضاعت منا فرصة كبيرة . كانت كل العصابة تقيم فى هذه البيوت .

• • •

بعد أربعين دقيقة ، وقفت سيارة أمام محطة الشمال وهبط منها رجلان عهدا بمتاعهما إلى أحد الحمالين وأسرعا لركوب قطار كاليه

السريع . وقال أحدهما :

ـ أسرع يا واطسون ، فلا يجب أن يفوتنا هذا القطار .. آه .. لن أنسى ابداً هذه الأيام العشرة .

ـ أنك انجزت مهمتك بكل اقتدار وخرجت أنا من هذه المغامرة بذراع مكسورة .

صاح هولمز فى مرح :

ـلك أن تحمد الله فذراعك الأخرى سليمة .

ومنح الحمال نصف فرنك وهو يقول :

ـ شكرا لك يا صاحبى .

أجابه الحمال :

ـ وشكراً لك يا مسيو هولمز .

رفع الإنجليزى عينيه ، وإذا به يرى ارسين لوبين أمامه . فهتف مشدوهاً : أنت .. أنت !

وقال واطسون متلعثما وهو يلوح بيده السليمة :

ـ أنت ؟ وكذلك مقبوض عليك . قال هولمز ذلك . عندما غادرك تركك بين يدى جانيمار وثلاثين من رجاله .

عقد لوبين ذراعيه وقال ساخطا :

ـ وهل ظننت أننى سأترككما ترحلان من غير أن أودعكما ، بعد أواصر الصداقة التى ربطت بيننا . أن ذلك ليكون قلة ذوق منى .

وصفر القطار ، فعاد يقول :

ـ ولكننى اسامحكما .. هل معكما كل ما يلزمكما .. تبغ وعيدان من ثقاب وجرائد ؟ ستجدان فيها أنباء القبض على وتمجيد

عملك الباهر الأخير يا أستاذ .. والآن وداعاً .. يسرنى أننى تعرفت بك .. وإذا احتجت إلى فانه يسرنى أن .

ووثب إلى الرصيف واغلق الباب وقال مرة أخرى وهو يهز منديله :

ـ وداعاً .. سأكتب لك ، وستكتب لى أنت أيضاً .. وذراعك المكسورة يا مستر واطسون .. كيف حالها .. أننى فى انتظار أنبائكما معا . بطاقة بريدية من وقت لآخر .. والعنوان :

ارسين لوبين ، باريس ، وهذا يكفى . فلاداعى للصق طابع بريد .. وداعاً .. وإلى أن نلتقى قريباً .



من إصدارتنا ....

سلسلة روائع القصص البوليسية (هتشكوك)

الياقوتة	اليد المقطوعة
الميت الحى	مسرح العرائس
ذو الوجهين	رصاصة فى الظلام
السفاح	المقبرة
الأنتحار	اليوم المشئوم

مجموعة قصص (أجانا كريستى)

القضية المستحيلة	النظرات القاتلة
رحلة إلى المجهول	الحب الذى قتل
جزيرة المهربين	المؤامرة الكبرى
الأفعى	جريمة ممثلة
أبواب القدر	المتهمة البريئة
مغامرات بوارو	التضحية الكبرى
جريمة فوق السحاب	جريمة فى العراق
الساحرة	اللغز المثير
سر التوأمين	اختطاف رئيس الوزراء
العميل السرى	سر الجريمة
القضية الكبرى	الجريمة الكاملة
قتيل فى المترو	ذكريات

أدلة الجريمة
الرسائل السوداء
المتهم الصامت
شرخ فى المرآة
المغامر
المطاردة القاتلة
الضحية الثالثة
القناع الزائف
رجل بلا قلب
خيوط العنكبوت
جريمة فى البحر
لغز الألغاز
وجهاً لوجه
كأس السم
دائرة الخطر
الشبح القاتل
سر المرأة المقنعة
الرصاصة الأخيرة
المأساة العجيبة
شبح من الماضى
الوثيقة السرية

القاتل الغامض
عدالة السماء
الذئب
زملاء الشر
لغز الهاربان
لغز أختفاء المليونير
الصوت الغامض
الحلم الرهيب
صرخة فى الليل
تحدى العظماء الأربعة
المرأة الغامضة
الرجل الخفى
جريمة الكوخ
الرعب القاتل
الغرفة السرية
رجل يتحدى بوارو
الجريمة المعقدة
الشاهدة الوحيدة
بيت الأسرار
الساحرات الثلاثة
الجريمة المزدوجة

سر زائر الليل	الخطة الجهنمية
ساعة الصفر	جريمة فى قطار الشرق
جزيرة الموت	المصيدة
جريمة القصر	اغتيال اللورد
الزائر الغامض	الخدعة الكبرى
إعلان عن جريمة	الانتقام الرهيب

سلسلة أرسين لوبين (أروع الألغاز البوليسية)

ذو الوجهين	الجائزة الكبرى
أمرأة أرسين	اللص الظريف
لغز القصر المهجور	الشبح القاتل
عودة أرسين لوبين	سر عقد اللؤلؤ
غريم أرسين لوبين	السرقة العجيبة

(روايات عالمية)

أحدب نوتردام	عقد الملكة
سجين زاندا	أوليفر تويست
الجريمة والعقاب	ذهب مع الريح
ديفيد كوبر فيلد	يد القاتل
كل شئ هادئ فى الميدان الغربى	حبل المشنقة
تراس بولبا	مرتفعات وذرنج

بائعة الخبز
محاكم التفتيش
كوخ العم توم
الكونت دى مونت كريستو
نشيد الثورة
الرجل الضاحك
مارى أنطوانيت
قصة مدينتين

سلسلة الأثارة والرعب

لعنة أبدية
الكابوس
قلعة الجبل الأسود
نشوة الجحيم
المعتقل
معانقة الفزع
قرية الخوف

سلسلة دراكيـــولا

دراكيولا
دراكيولا ابن القمر
دراكيولا مصاص الدماء
دراكيولا قرية الخوف

●●●

أشهر القصص اللصوصية

مغامرات اللص الظريف أرسين لوبين صاحب الشخصية العجيبة والمغامرات الخارقة التى بهرت الملايين فى أنحاء العالم ،،

لغز القصر المهجور — اللص الظريف

عودة أرسين لوبين — سر عقد اللؤلؤ

غريم أرسين لوبين — إمرأة أرسين

السرقة العجيبة — الشبح القاتل

الجائزة الكبرى — ذو الوجهين

رقم الإيداع الدولى
977-267-241-2
كتاب رقم 2707

مكتبة معروف
الإسكندرية: ٤٨٤٦١١٢٥/٩٥٤٥٥١٩ / فاكس: ٤٨٦٠٠٨٩
القاهره : ٠٢٢٤٠٣٧٧٩٢ -٠١٢٧٨٥٦٦١٣
E-mail:maarouf2004@hotmail.com
www.maaroufbookshop.com
info@maaroufbookshop.com

المملكة العر...
مكتبة دار ...
ت : ١٢٠٧...
E-mail:dar_alshaab_library@hotmail